كتاب الأهالي رقم ٥٢

المواجهة

بين
رفعت السعيد و عادل حسين

حول الاعتدال والتطرف فى الإسلام

تعليقات : المستشار . سعيد العشماوى /د. نصر حامد أبوزيد
خليل عبدالكريم / الشيخ مصطفى عاصى
د. مجدى قرقر / صلاح عدلى / مصباح قطب

كتاب الأهالى
رقم ٥٢ / أبريل ١٩٩٥م

الإدارة والتحرير: ٢٣شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ القاهرة ج.م.ع
ترسل جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
الإعلانات. يتفق بشأنها مع الإدارة
الأعداد السابقة: توجد نسخ محدودة من الأعداد السابقة من السلسلة ترسل لمن يطلبها خارج القاهرة أو خارج جمهورية مصر العربية بالبريد المسجل ويحسب سعر الكتاب على أساس أن الجنيه يعادل (دولار) أمريكياً ويضاف جنيه مصرى داخل مصر على ثمن الكتاب نفقات البريد كما يضاف «دولار» واحد خارجها إلى الثمن وتحول أثمان الكتاب بحوالة بريدية باسم الأهالى.

كتاب الأهالى سلسلة كتب شهرية تصدرها جريدة الأهالى-
حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى- مصر

أما وقد صمتت مدافع الأمة عن الدفاع وحول العدو نيران مدافعه إلى جبهة الوعى والانتماء فقد كان لابد وأن يصدر كتاب الأهالى ليكون بعض جهدنا المتواضع فى المعركة التى تدور على جبهة العقل ليساهم فى إعادة بناء الجسور المنهارة بين الطليعة والشعب وبين المواطن وبين الوطن والأمة وبين هؤلاء جميعاً والكون الذى نعيش فيه.

ولأننا نعيش فى عصر ثورة الاتصالات الذى يؤدى تدفق معلوماته إلى تشوش فى اليقين فإن حاجتنا إلى العودة للتبشير بالبديهيات وإعادة إحياء الذاكرة الوطنية لاتقل عن حاجتنا إلى التعمق الذى يحيى اليقين لا الذى يشوش عليه

وإذا كان منطق الحركة السياسية اليومية يحتمل المساومة والوسطية فإن جوهر دور اليسار على صعيد الوعى والانتماء هو الهدم والبناء ذلك أن الأمر هنا أمر تكوين وتأسيس يتجاوز ضرورات الحاضر وقيوده إلى آفاق المستقبل وأحلامه

كتــاب الأهــالــى

ثقافة الهدم والبناء

رئيس التحرير: **أمينة شفيق**

كتاب الأهالى

\\

الحوار بين

الدكتور رفعت السعيد
والأستاذ عادل حسين

\\

أعمال الصف والتوضيب الفنى:
بوحدة أجهزة الماكينتوش بمؤسسة الأهالى/ ٢٣ شارع
عبد الخالق ثروت- القاهرة /ت:٣٩٢٢٣٠٦-٣٩٢٢٤٠٨.

مراجعة لغوية: عبد الله السبع

سكرتير التحرير: عادل بكر

الحوار بين رفعت السعيد وعادل حسين

تعليقات

محمد سيعد العشماوى

نضر حامد أبو زيد

خليل عبد الكريم

مصطفى عاصى

مجدى قرقر

صلاح عدلى

(الطبعة الأولى ١٩٩٥م)

محتويات الكتاب

صفحة

حكاية الحكاية

تقديم

نقطة الابتداء تقطر بساطة.

ندوات ومناظرات رمضانية. يرتبها، ينظمها، يديرها اتحاد الشباب التقدمي - القاهرة.

وتشعبت الندوات.. بطالة. إسكان. صحة ثم أتت إلى موضع الوجع في الجسد المصري. وفوجئت بترتيب لمناظرة «الاعتدال والتطرف في الإسلام السياسي»، وفوجئت بأن الأستاذ عادل حسين قد قبل بالمشاركة فيها. ولم يكن ثمة مفر، فلابد من أن أكون الطرف الآخر. فالأمين العام لهم.. يقابله الأمين العام لنا.. على الأقل من باب المجاملة.

لكنني منذ بداية إبلاغي أبديت ملاحظة على تسميتها «بالمناظرة» فالمناظرة توحي بقدر من اللجاجة تذكرني بتدريبات مدرسي اللغة العربية لنا في «جمعية المناظرات» بالمدرسة الابتدائية.. في زمان كانت فيه المناظرة المفضلة هي «القبعة أم الطربوش». أما الملاحظة الثانية التي تلسعني دوما وهي تسمية «هؤلاء» «بالإسلام السياسي» أو ماشابه ذلك فقد اعتدت على ابتلاعها، حتى أتمكن من إقناع الآخرين بخطأ التسمية، وخطأ الاستخدام اللغوي، ومن ثم إقناعهم باستخدام كلمة «التأسلم»..

المفاجأة تجلت لحظة الوصول إلى المقر المركزى للحزب لأبدأ.. الحوار أو المناظرة أيهما سيقع. القاعة الكبيرة ممتلئة فى مهابة. هذا الحضور الكثيف غير متوقع فى ليلة رمضانية.. مئات الوجوه المتطلعة إليك البعض فى مودة، والبعض فى غير مودة شخصيات عديدة لم تكن لتتصور حضورها.. الفريق سعد الدين الشاذلى - عبد الله حورانى (عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية) سودانيون حكوميون ومعارضون، أبو الفضل الجيزاوى، د. جلال أمين، الجار الله عمر (اليمن).. دبلوماسيون باحثون مصريون وأجانب، أساتذة جامعات، صحفيون بلاحصر.. ملتحون.. محجبات وغيرمحجبات، خمس كاميرات ڤيديو تعرفتُ على اثنتين منها والأخرى أتت لست أدرى من أين.. ولا لماذا؟ عشرات المسجلات مشرعة فى الأيدى وكأنها تستدعيك إلى مبارزة.. وأخرى مصطفة على المنصة.

وانتظرنا.. لساعة ونصف حتى يحضر الأستاذ عادل حسين برغم طول الانتظار لم يتململ أحد، ولم ينصرف أحد.

اعتذر عادل عن التأخير بسبب لم يشأ ذكره. دهش الجمع إذ وجدنا نتمازح معا، ضحكاتنا وصلت الآذان جميعا قبل أن نصعد إلى المنصة. زوجتى تستعيد معه ومع الصديق القديم د. أحمد عامر ذكريات عملهم الطلابى المشترك بالجامعة..

ثم، وعلَى عجل بدأنا.

من فوق المنصة الأمر مختلف، والرؤية مختلفة.. نظرات تشتعل غيظا منك قبل أن تبدأ.. فقط باعتبار ما كان، واحد - ولم يخف ذلك بل لعله حرص على إعلانه - يقرأ ضدى «عدية ياسين» كى يعقد لسانى وأرتبك.. ونظرات أخرى

هادئة حانية تحاول ولو من بعيد أن تمنحك إيحاءً بأنها معك.

لم أزل أذكر محاضرات أستاذي الألماني إذ كنت أدرس كعلم إضافي - لكنه إجباري - علم أو فن - هناك خلاف كبير حول ذلك - إلقاء المحاضرات. كان يؤكد على أهمية التآخي بين نظراتك.. ملامحك.. أنفاسك ونظرات وملامح وأنفاس مساحة واسعة من القاعة.. منهم ومن خلجاتهم ستعلم إن كنت مقنعا أم لا؟ مرغوبا فيك أم لا؟، مطلوب منك أن تواصل أم إن كلماتك حملت إليهم - لسبب أو لآخر الملل والطموح إلى التخلص منك؟. افترشت نظراتي المساحة. الأمر صعب للغاية، فالجمع مكدس ومتكدس، وثمة جالسون حتى على درجات السلم الجانبي، واقفون بتراص متزاحم يخفي عنك وجوهاً كثيرة، ويخفي انفعالاتها. لكن التمايز واضح، وسريعا أفلت من ذهني خيط رقيق ودقيق مر متعرجا عبر القاعة، تعرج وتعرج ليفصل بين نظرات ونظرات.. موقف وموقف.

قبل أن أصعد للمنصة سألني د. عصمت زين الدين دون أن يخفي تعاطفه مع الأستاذ عادل حسين، هل ستكون هذه الندوة بداية لتفاهم وعمل مشترك؟ قلت: يتوقف الأمر على ماسيقول الأستاذ عادل إجابة على أسئلة محددة فإما تواصل، وإما حد فاصل. اشتعل الوجه المتسائل بغضب لم يفارقه طوال الوقت. ومن الصف الأول ظلت نظراته وملامحه غاضبة غضبا يتقد كلما أمعنت في الكلام ليوحي إلى أنني أطأ المنطقة الصائبة، لأوجع في موضع الألم الحقيقي.

وكتقليد نحترم به الضيف بدأ الأستاذ عادل حسين بالحديث، بعد أن تبادلنا عبارات مجاملة رقيقة وغير مفتعلة.

عندما تحدث، وطوال حديثه أحسست بكلماته مغلفة بحالة من الاستعلاء كتلك التي توهمها «القطبيون» (تلاميذ سيد قطب) وأسموها «الاستعلاء بالإيمان»، وأحسست أنه يتقن فن القول بالمطلق.. وتبدى الأمر - من وجهة نظره بسيطا للغاية - الصحوة الإسلامية يعلو موجها، والجماهير الفقيرة تلتقي في ظلالها، وتحتشد تحت خيمتها.. ثم موقفين مطلقين.. إذ تأتي الجماهير محتشدة إلينا (أي إليهم) فلا مفر أمامكم (أي أمامنا) سوى أن تتبعوها لتأتوا إلى ساحتنا (أي ساحتهم) وإذ أن الخيمة متسعة فلها أن تشتمل بالضرورة على تفاوت وتنوع ولكن في إطار الخيمة.

المعنى واضح. أو هكذا التقطته، لا مهرب لنا إلا تحت خيمتهم (فلماذا الحوار إذن؟) ولا أمل في أي انتقاد أو حتى عتاب للإرهاب والإرهابيين فالجميع تحت الخيمة وفي إطارها، وإن اختلفت السبل والأدوات.

والغريب أن هذا المعنى الواضح في كلمة الأستاذ عادل حسين لم يكن سوى تأكيد لما كنت أزمع أن أقول به، ولما قلت وقررت وكررت دوما.. أنه لامعتدل ومتطرف تحت هذه الخيمة الواحدة.

تعدل ترتيب الكروت المرتاحة في هدوء أمامي.. تحرك البعض، فلم أعد بعد بحاجة إلى تأكيد ما أكده الأستاذ عادل، أو إلى إثبات ما أثبته. تباعدت كروت واقتربت أخرى.. وبدأت.

الغريب أن الذين كرروا إلحاحهم على ضرورة مشاركتهم في الحوار لم يحتملوا. بعد ثلاث أو أربع من الجمل أحسست أن بعضاً من الملامح اكتسى بغضب متفجر، والذين أقسموا وأكدوا بضرورة تديين السياسة أو تسييس الدين بدأت ترتفع تأوهاتهم «نحن في ندوة سياسية فلماذا تتحدث في الدين»

أوجعهم جداً أن يكون القول الديني الصحيح ضدهم، وأن يستطيع كشف الغطاء عن حقيقتهم.

القاعة تتململ. ألححت منذ البدء على الزملاء والأصدقاء، المؤيدين ألا يصفقوا (وإن ألححت على السماح للطرف الآخر بذلك فهم ضيوف) ألححت في البداية على الزملاء والأصدقاء باحتمال أى فعل من الضيوف. صاح الزميل حمدى حسين (أتى من المحلة ليحضر الندوة) غاضبا. قال: الجالس إلى جوارى يشتمك شتائم سيئة. قلت: دعه يشتم فهو ضيف.

مقاطعات غير مفترضة بدأت تتناثر.. البعض يلح فى عصبية غير مفترضة على حقه فى الكلام فالمتحدث باسمهم، لايتحدث باسمهم كما يجب أو كما يحبون، ولعل بعضا منهم صمم على أنه لايمثلهم.

أنهيت كلمتى.. ودعوت الأستاذ عادل لتعقيب. قال ما هو مثبت فى هذا الكتاب، لكنه حاول أن يستدرجنى إلى ساحته وملخصه: تقول إننا متأسلمون وأنت صحيح الإسلام فمرحبا بك تحت الخيمة وتعال نتحاور على هذا الأساس.. قلت نحن مسلمون لكننا نرفض من حيث المبدأ الحكومة الدينية ولانعتبرها من الأصول ومن ثم نرفض مبدأ تديين السياسة وتسييس الدين. صعق الآخرون جميعا عندما أوردت الحديث الشريف الوارد فى الصحيحين «الخلافة بعدى ثلاثون عاماً وبعدها مُلك عضوض».. أوجعتهم كثيرا الأمثلة على الفهم النصى، والأمثلة على التأسلم والاتجار به.. وما إن بدأت بالتعقيب على التعقيب. ما إن توالت الأسئلة الموجعة التى تضع الغلح داخل حرج دامٍ.. لم لاتدين الإرهاب؟. هل من فارق بين حزب العمل والإخوان؟ وماهو تحديدا ؟. كيف تطالبون هنا بالحريات والديمقراطية والتعددية وحرية العمل النقابى،

وتؤيدون الممارسات الديكتاتورية للحكم المتأسلم فى طهران والخرطوم؟ وهل من قدرة على انتقاد حكامها؟ وهل هذا هو النموذج «الإسلامى» الذى تطمحون إليه؟

لا إجابات، فأية إجابة هى لغم متفجر ويفجر مجمل الموقف، ويكشف القناع عن حقيقة الانتماء.

وما أصعب ألا تجد إجابة على أسئلة محددة ومحرجة وأمام جمع غفير كهذا. البعض يبتسم ليمنحنى عواطفه.. وجوه كثيرة أراها للمرة الأولى لكن عيونها الراضية المشجعة تمنحنى دفئاً وثقة.. وكأننا أصدقاء منذ الزمان الأول. لكن الخيط المتعرج يفصل بين هذه العيون وعيون أخرى يتفجر منها التجهم، المتجهم بلا تحفظ، وبلا احتراز، قبضات تلوح بالغيظ الذى لم يعد قادراً على ضبط نفسه أو أنفاسه.

صيحات بدأت بالتهجم علىّ، ثم بالتهجم على رجلهم الجالس على المنصة.، البعض يقول وعلى مسمع منا جميعا إنه غير موفق أو إنه لايمثلهم، وإلى المنصة صعد اثنان فى غاية التوتر يريدان أن ينتزعا حق الكلام بدعوى أنهم يمثلون جماعة الإخوان..

ويبدو للجميع أن الاستمرار لم يعد ممكنا فبعض القاعة لم يعد قادراً على الاحتمال.

إنها المرة الأولى التى أتعلم فيها أن حواراً أو قولا أو حججا يمكنها أن توجع إلى هذا الحد المتفجر.

..ولم يكن بالإمكان الاستمرار وسط ضجيج مفروض وإن كان غير مفترض.

وتنتهي الندوة..

ليبدأ حولها ضجيج سياسي وإعلامي لم أكن أتوقعه.. ولم يكن يتوقعه أحد.

القاهرة - ١٩٩٥/٣/١

د. رفعت السعيد

الحوار

في بداية اللقاء، قال د.رفعت السعيد: قد يتصور البعض أنهم قد أتوا ليشاهدوا مشاجرة. لكن أعتقد أن الهدف من هذا اللقاء هو أن نفهم، وأن نتفهم، أن نتفاهم قدر مانستطيع. كما أن ثمة خطأ فقد أسموا هذا الذى سيجرى مناظرة لكننى أعتقد أن الأجدر بنا أن نسميها ندوة أو حواراً فالمناظرة تمتلك قدراً من اللجاجة وأعتقد أننا سننأى بأنفسنا عنها. أما من أتوا ليشاهدوا مشاجرة فأسجل لهم أننى والأستاذ عادل حسين أصدقاء قدامى، أقدم كثيرا جداً من أن تتبعثر هذه الصداقة بسبب حوار أو بسبب مواقف لكن ذلك لايعنى أننا سنقدم أية تنازلات فى الفكر والموقف السياسى وإنما سنحاول قدر الإمكان أن نكون موضوعيين.

بعد هذه الكلمات السريعة بدأت وقائع الندوة فتحدث عادل حسين وطرح وجهة نظره قائلاً:

النقطة التى أود أن أعلق عليها قبل أن أدخل فى الموضوع هى التى أشار إليها أخى د.رفعت السعيد حين استنكر وأنا معه مصطلح المناظرة فمناظرة تعنى كما تعودنا تقديم كل طرف لمنولوج.. يعنى كل واحد يقول وجهة نظره وكأنه يدافع عنها، قضية لا مجال للتزحزح فيها ولا للتغيير فيها حيث أن المقصود غير هذا. فأصارحكم أننى قد جئت بهدف الحوار وليس لهدف التناطح أو إثبات كل نقطة أتصور أنها صحيحة. فجئت بقلب وعقل مفتوح

وأرجو أن يكون كل الحاضرين متمثلين لهذه الفضيلة لأن أمتنا فى وضع خطير، وتبادل الرأى والحوار ومحاولة أن يفهم كل منا الآخر أصبحت مسألة ملحة. وعلى المستوى الشخصى وصفنى د. رفعت بأننى صديق قديم وهذا تعبير صحيح وإن كان أقل من الحقيقة بمعنى أننى أذكر أننا خرجنا من السجن عام٦٤ معاً وكنا أقرب اثنين خارجين من السجون إلى بعضنا البعض على المستوى الشخصى وعلى مستوى التفاهم فى كافة القضايا. وشاء الله أن افترقت بنا السبل ولعل من الأشياء التى أندم عليها طوال الفترة الماضية -ويدهشنى هذا- كيف لم أجلس معه لنتحاور طوال هذه السنوات. وحين كنت فى السجن هذه المرة الأخيرة وتصورت أنها ستكون بلاعودة للحياة وأننى سأقضى أجلى هناك. أذكر أننى راجعت كثيراً من أمور حياتى ومن قضاياى ومن الأمور التى فعلتها والتى لم أفعلها فكان من القضايا التى قفزت إلى ذهنى لماذا لم أتناقش مع رفعت السعيد؟ لماذا لم أتناقش مع رفعت السعيد؟ وشاء الله أن أخرج وأن يكون أول حوار علنى مع رفعت السعيد. فهذه مصادفة أردت أن أسوقها أمامكم لأؤكد على المعنى الذى أقصده وهو أن يكون الحوار جاداً. وأسأل الله أن يفتح صدورنا وعقولنا لبعضنا البعض. وإذا دخلنا بعد هذا فى الموضوع نفسه فلابد أن أغلب الحاضرين يعلمون أننى امرؤ تطور فى حياته من حيث مواقفه الفكرية والسياسية فكما تعلمون كنت فى قلب الفكر الماركسى اللينينى وناضلت تحت رايته ودفعت ثمناً غالياً من حياتى انتصاراً له ثم انتقلت بعد هذا إلى موقع الفكر القومى الراديكالى تفاعلاً وتفهماً للتجربة الناصرية ثم تطورت بعد ذلك إلى مواقع الفكر الإسلامى. وهذا الانتقال لم يحدث بين يوم وليلة وبدون مقدمات ولكنه كان حصيلة معاناة

شديدة وقراءة وتأمل واستقراء للتجارب واستفادة من خبرتها. والموقف الحالى بداخل الفكر الإسلامى وداخل الحركة الإسلامية هو بدوره يتطور فقد انتقلت إلى هذا المعسكر منذ أوائل الثمانينيات، أعتقد أننى كنت فى داخل الدائرة الإسلامية ولكن أيضاً فهمى لما ينبغى للفكر الإسلامى المعاصر أن يؤديه وفهمى لما ينبغى أن تقوم به الحركة الإسلامية المعاصرة لاشك أن كل هذا أيضاً قد اتخذ أشكالا جديدة وتطور مع مزيد من التجارب ومزيد من الابتلاءات، الأمر الذى نبدأ به فى تصوير موقفى الحالى هو الإيمان بأهمية التعددية داخل الحلف الإسلامى والحركة الإسلامية. هذه القضية لاينبغى أن تغيب عن الذهن لأنها ستؤثر كثيراً فى مواقف القوى السياسية الأخرى.

والتعددية الإسلامية تعنى أنه فى داخل الأصول الإسلامية الواحدة التى توجه حركة المسلمين جميعاً ومعتقدات المسلمين جميعاً فإن مجال الاختلاف فى الاجتهاد فى إطار هذه الأصول بلا نهاية، كان هذا صحيحاً فى التاريخ الإسلامى بشكل عام وهو صحيح فى واقعنا المعاصر. أصبحت هذه القضية تلمس باليد، كما تعلمون فى الجزائر هناك أكثر من حركة إسلامية وكل له حساباته ومخططاته يختلفون معاً ولكن لايكفر أحدهم الآخر. فكلهم يختلفون فى اجتهادات داخل إطار الأصول الإسلامية. فى السودان، هناك تجربة يختلف معها كثير من الإسلاميين المعاصرين فى السودان أو فى بلاد أخرى. وفى مصر هناك كذلك تنوع فى الاجتهاد على مستوى الحركة السياسية وليس كل الداعين فى مصر إلى الحل الإسلامى ينتهجون نفس السبل ويتبنون نفس التصورات لهذه الدولة الإسلامية. من هنا نحن لانتكلم عن أطروحة نظرية بأن التعددية فى الإسلام ممكنة ولكننا نتكلم ونرصد ظاهرة حقيقية وهى ليست

شاذة ولكنها تستمد مشروعيتها من الإسلام نفسه.. هكذا أقول بل أضيف أن التعددية فريضة إسلامية كما قد يكون التفكير فريضة إسلامية وهذا صحيح والتفكير بالضرورة يولد الاختلاف فى الرأى ويولد بالتالى التعددية. وعلى هذا فإننى ألحظ فى بعض الأحيان من كتابات د.رفعت السعيد وكتابات كثيرين آخرين حين يقولون إن الإسلام هو الإخوان المسلمون، والإخوان المسلمون هم الإسلام وهذه مقولة غير صحيحة. وقد أظهرت لكم بالوقائع فى الواقع المعاصر أن هذا الأمر غير صحيح. لا أظن أن الوضع فى السودان وهو بالتأكيد يعلن ليل نهار أنه يسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية وفى نفس الوقت يجاهر أنه يختلف مع الإخوان المسلمين فى كثير من الأشياء، والإخوان المسلمون هم أيضاً لاينكرون خلافاتهم مع الحكم الإسلامى فى السودان. نفس الشئ فى الجزائر وبالتالى حين يقال عن أى اتجاه إسلامى فى مصر أنه لابد أن يكون خارجاً من عباءة الإخوان المسلمين ولابد أن الإخوان المسلمين مسئولون عنه بشكل أو بآخر.. فهذه مقولة أكاد أقول إنها تخالف وقائع تاريخية ووقائع معاصرة نلمسها وبالتالى لاداعى لأن نلجأ إلى مثل هذه التفسيرات التى لاتساعد فى فهم الواقع المعاصر وفى كيفية التعامل معه حين يقال إن أى شاب يلجأ للعنف والإرهاب فلابد أن يكون خارجاً من عباءة الإخوان المسلمين فهذا أمر غير صحيح تاريخياً، فالجماعات الإسلامية عضوياً لم تخرج من الإخوان المسلمين وكذلك فإن حزب العمل- ونحن فصيل إسلامى يعمل على الساحة- لا أعتقد أننا خرجنا من الإخوان المسلمين، وبذلك فإن هذه واقعة لاتستمد مصداقية من الواقع التاريخى. إذا قيل إن كل هؤلاء خرجوا من عباءة الإسلام فهذا صحيح، كلنا خرجنا من عباءة الإسلام وكلنا استخلصنا

اجتهاداتنا عبر فهمنا للأصول الإسلامية المشتركة ولكننا بالتأكيد لم نخرج من عباءة الإخوان تحديداً.

الإخوان بدورهم هم تنظيم كبير له فضل رائد خرج من الإسلام ومن أصوله. ومن غير شك وأبدى فى هذا السبيل جهاداً وبذل دماً وتضحيات وابتلى فصمد.. كل هذا مفهوم ولكن بالتأكيد الإسلام أوسع من هذا، والقول بأن الاتجاهات المختلفة خرجت كلها من عباءة الإسلام مؤكد ولكن أن نقول إنها خرجت من عباءة الإخوان المسلمين تحديداً فهذا تاريخياً وواقعياً غير صحيح ولايفسر شيئاً.

أهمية هذا ليست قضية نظرية، فى فترة من الفترات وحين انهارت الخلافة العثمانية وانهارت آمال كثيرة وتطلعات لاستعادة وحدة المسلمين فكان طبيعياً أن الدعوة لاستعادة الراية الإسلامية ولإقامة الخلافة كانت دعوة أقلية، كان المناخ السائد بسبب الإحباط وبسبب طول الفترة التى عشناها مع ماكان يسمى «الرجل المريض» أى الامبراطورية العثمانية التى تهاوت بعد فترة تداعٍ طويلة وفى مراحلها الأخيرة لم يكن منظرها يسر ولم تكن ذكرياتها مشعة وتصور كثير من الناس أن استعادة الإسلام للسلطة وللهيمنة الحضارية والسياسية أصبح المناداة بذلك من علامات التخلف. ومع الاحتكاك الذى جاء مع الهزيمة أمام جيوش الغزاة انتشر الانبهار بالغرب وأصبحت محاكاة الغرب هى شعار كل من يريد التقدم وكان أغلبهم عن نية خالصة لإنهاض الوطن ولكن فقدوا الأمل فى أدواتهم القديمة وفقدوا ثقتهم فى قدرة الإسلام على التجدد بعد طول الجمود وخاصة فى ضوء مرحلة التداعى التى أشرت إليها فى مراحل الدولة العثمانية الأخيرة. وكانت الدعوة لاستعادة الخلافة العثمانية وللإصرار

على أن الإسلام مازال يمثل الحل الأمثل ويمثل المستقبل، صعباً قبولها من غالبية أخرى متطلعة لرفعة الأوطان. وبالتالى كان يعد هذا الرأى فتنة. وفى حالة كهذه يُفْهم أن هذه القلة وهى تسعى لنشر دعوة جديدة فى مواجهة رفض عام خاصة من بين النُخَب الحاكمة والنُخَب المثقفة لم يكن هناك مجال كثير للتمحيص فى حقيقة مايقصده دعاة استعادة الدولة الإسلامية ومحاولة النهضة من جديد تحت راية الإسلام وبالتالى كان كل من يدعون هذه الدعوة ينظرون إلى أنفسهم وينظر الناس لهم باعتبارهم شيئاً واحداً وكتلة واحدة. ونحن الآن بفضل الله فى حال يختلف فبعد مسيرة طويلة من الجهاد لإنهاض هذه الأمة وتوحيدها مررنا بكثير من التجارب والابتلاءات ولايتسع المجال فى استطراد طويل حول ماجرى فى هذه المسيرة الطويلة على الأقل طوال مامضى من القرن العشرين ولكن خلاصة المسيرة التى أقررها الآن هو أنه بعد كل ماجرى وبعد كل ما أمتحنا به وبعد كل التجارب أصبح هناك مانسميه اصطلاحاً «الصحوة الإسلامية» ومقصود بها أن جماهير الأمة ونخبها الشابة أفاقت من غيبوبة طويلة وفى ضوء كل التجارب التى مرت عليها عادت إلى تبين الحقيقة وإلى أن النهضة لايمكن أن تكون ناجحة إلا بقدر ماتكون أصيلة وذات جذور فى الأرض وأن المستقبل لايمكن أن يكون محققاً للمعجزات إلا بقدر مايكون متصلاً بشخصية الأمة وتاريخها وإنجازاتها وكل هذه الصلة بالتاريخ وبالتجارب وبشخصيتنا التى ورثناها. كل هذا يعنى أن النهضة المقبلة لابد أن تكون مرتبطة بالإسلام. هذا ماسار بين الناس وأصبحت تجمع عليه العقول والقلوب خاصة فى الجماهير الشابة التى لاتحول بينها وبين الحقيقة تحيزات شخصية. أقصد أن كثيرين من جيلى والذين يحيطون بهذا الجيل فى السن من

حيث أرادوا أو لم يريدوا؛ كل أسير ماتربى عليه وما سار فيه وهذا التاريخ الشخصى لكل منا يؤثر على سلوكه وعلى نظرته بدرجة أو أخرى وفى كثير من الأحيان يصل هذا التأثر إلى حد أنه يأبى أن يعترف بالحقائق لأنها تتنافى مع ما ألف طول عمره على اعتباره باطلاً. الأجيال الجديدة بحمد الله متحررة من هذه التحيزات. أخذت التجربة من آخرها، استفادت مما فعلته الأجيال السابقة استفادت بهذه الخطوة إضافة إلى ماتعلمته بذاتها. وصلنا إلى أن الأجيال الشابة فى كل أمتنا العربية والإسلامية الآن أصبحت ترى بأغلبية ساحقة أن الإسلام هو أساس النهضة، وأساس التقدم فى هذه الأمة وفى العالم. بل يرى المسلمون بطبيعة الحال أننا نعتبر أمتنا التى ورثناها هى أمة المنطلق ولكن الوجهة العامة هى أن ننطلق للإنسانية كلها ولنا عذرنا فى ذلك وحقنا ليس فقط إيماناً بالإسلام كدين ولكن لما نراه كذلك بأعيننا من أن الحضارة الغربية السائدة تعانى حقيقة من أزمات طاحنة تسبب مآسى خطيرة لكافة مجتمعات البشر. ونرى ويرى كل مثقف بآداب الإسلام وقيمه أننا بالفعل لواستطعنا أن ننهض وأن نقيم هذه الأمة على أساس اقتصادى وعسكرى وسياسى متين فإننا نملك من القيم ونملك من الرسالة مايمكن أن يحل كثيراً من مشاكل البشر تحت ظل الحضارة الغربية المادية العلمانية القائمة.

إذن، استفادة من التجربة ويتعلم مايقوم عليه ديننا وماتقوم عليه حضارتنا أصبح هناك وعى متزايد وإقبال متزايد على قبول الإسلام أساساً للنهضة وحلا مقبولاً. حين يؤخذ الموضوع بهذا الاتساع، فإذن هنا تأتى قضية أن التنوع فى الاجتهادات لابد أن يكون قانوناً، وبالضرورة لايمكن أن نتصور أن يكون هناك إجماع أو مايشبه الإجماع بين مئات الملايين من البشر ويظلون جميعاً

متفقين فى كافة التصورات، فى كافة الاجتهادات، فى كافة التطلعات إلى المستقبل، هذا أمر غير إنسانى وغير مطلوب والإسلام ينهانا عن ذلك وقد أباح لأمته حق الاجتهاد وحق الاختلاف. ومن هنا لم يعد مقبولاً أن نأخذ كل دعاة الحل الإسلامى باعتبارهم شيئاً واحداً بل نختار أكثرهم جموداً وتخلفاً ونقول كلهم بهذا الشكل. وبما أنهم كلهم بهذا الشكل إذن هم مرفوضون وكل مايقولون به.. أظن أن هذا نوع من أنواع الظلم والحكم السطحى غير الواقعى وقد أشرت فى بداية حديثى أن فى كل بلد كأمر واقع هناك اختلافات فى الاجتهادات تؤدى إلى اختلاف فى الحركات السياسية وبالتالى فالبنسبة لأى محكم أو لأى مراقب حين يقول إننى أتفق وأختلف فلاينبغى أن ينظر للظاهرة بأكملها فيقبلها جملة أو يرفضها جملة وإنما ينبغى أن تكون نظرته أكثر تدقيقاً حتى يحدد مع من يختلف ومع من يتفق، ويتفق مع هذا عند أى قدر ويختلف مع ذاك إلى أى قدر، حتى تكون الأمور واقعية وتكون إدارة الأمور السياسية بالشكل الذى نفهمه.

لقد كانت الحركة الشيوعية فى بدايتها، يُنظر إليها من أعدائها وحلفائها معاً أنها شئ واحد مصمت. مجموعة من التعاليم المحددة الواضحة التى لاترضى بالخلاف والكل يتفق فيها ويلتقى عندها ولاتفرق بين شيوعى وآخر، حين اتسعت الظاهرة وأصبحت دولية وأصبحت شعوباً وقبائل ودولاً وآسيا وأفريقيا وأوروبا إلخ.. كان طبيعياً أن يُعترف بأنها كأى عقيدة بشرية وكأى تجربة بشرية متى اتسعت للملايين فإنها تصبح لها شروحها ولها تفسيراتها وبالتالى ينبغى أن تحدد الموقف من هذه الظاهرة لاجملة واحدة، فتقبلها جملة أو ترفضها جملة وإنما لابد من أن تنظر إليها فأصبح هناك مايسمى الصينيون

وأصبح هناك من يقال لهم الروس وإلى آخره ممن يذكرون هذا التاريخ.

نحن الآن الظاهرة المعاصرة ذات الأبعاد الدولية والصاعدة وهى تجربة النهوض الإسلامى المعاصر فى قارات العالم المختلفة خاصة فى آسيا وأفريقيا مع بعض الامتدادات فى أوروبا . هذه الظاهرة باتساعها ، لابد أن نلحظ التنوع والاختلاف الفكرى. فى ضوء هذا أختلف مع الواقع المصرى لأننى لا أريد من المقدمة السابقة مجرد أن أسرح فى الخيال وأن أناقش قضية نظرية عامة، ولكننى أردت من هذا التقديم أن نكون أكثر قدرة على الاقتراب من واقعنا والتعامل معه بشكل صحيح يؤدى إلى خير بإذن الله.

فى مصر: مَنْ ينكر الآن أن فى مصر ماتسميه «بالصحوة الإسلامية المعاصرة»، أصبح مداً عارماً وأنه هو المحرك للحيوية الاجتماعية والسياسية فى هذه الأمة يكون مغالطاً لمايشهده أى إنسان بعينه!! ومرة أخرى أشير بشكل خاص إلى الأجيال الموجودة. حين يقال، البعض يتكلم حول أن البلد نايمة. «يا عم الناس دول ناس ولاد كلب مافيش فايدة فيهم، وحقيقة هذه لاتمثل أزمة الشباب الإسلامى وإذا نظرنا إلى الأمة فى منظور الحركة الإسلامية فإنها فى أزهى عصورها من حيث الحيوية الاجتماعية والسياسية.

القضية إذن أن هؤلاء الذين يعزلون أنفسهم عن نور الله، عن هذه الحركة الصاعدة، هم الذين يشعرون بأنهم معزولون وأنهم لايستطيعون أن يحركوا الجماهير، فيتهموا الجماهير بأنها سلبية، والصحيح أن الجماهير ليست سلبية ولكن أنتم الذين لاتعبرون عن طموحات الجماهير. وعليكم أن تستوعبوا هذا الدرس حتى تكونوا جزءاً من الحركة التاريخية الصاعدة

ولاتنعزلوا عنها. أما إذا أخذنا من هم مرتبطون بشكل أو بآخر بالحركة الإسلامية فإنهم لايمكن أن يشكوا سلبية الناس أو انعزالهم عن الجهاد والتضحية وعن تحقيق التقدم، فالمعارك فى كافة الأصعدة وفى كافة الأشكال تجرى فى هذا البلد على نحو لم يكن بالقوة والحيوية التى نشهدها فى عصرنا هذا وفى أيامنا هذه. وفى هذه الحركة الواسعة أوضحت أنها تتم تحت رايات مختلفة وباجتهادات وتصورات مختلفة .

ويجب على المثقف الجاد من غير الإسلاميين ألا يتعالى على هذه الحركة التاريخية الجبارة فلم يعد مقبولاً أن يقف المثقفون موقفاً متعالياً فى حين أن الجماهير لها خيار واضح. وليتنا نستطيع أن نمارس المنهج الذى يحرص على المتابعة النقدية لفكر الإنسان. وفى ضوء ذلك فإن عدم الاهتمام بظاهرة الإسلام المعاصر يؤدى إلى عدم التفهم لأهمية مانسميه الاستقلال الحضارى بكل مايولده فى أبناء الأمة بالقدرة على العزة.

وسوف تترتب نتائج خطيرة إذا ظللنا بعيدين عن فهم مغزى الاكتشاف التاريخى لشباب هذه الأمة لظاهرة الإسلام المعاصر، وهكذا.. إذا استمر هذا الانقسام بين جمهور واسع أمسك بحقيقة الإسلام وبين من يُصرون على أن هذا كله كلام فارغ وبالتالى ننتهى إلى ظاهرة التغرب.. إذا استمر هذا الانقسام فى شخصية الأمة فسوف يؤدى إلى نتائج خطيرة فى المواجهة مع أشرس هجمة نواجهها مع القوى الصهيونية.

ولعلنا نعلم أن المتدينين بين الصهاينة قليلون ولكن كلهم متعصبون للتراث اليهودى. لن تجد فيهم من «يفاوض» يوم السبت لأن هذا هو تاريخ الشعب اليهودى ومن إبداعه.. وهذا الدرس هام لنا.. نحن قد نختلف عنهم

فإن غالبيتنا تؤمن بالإسلام كدين (وكلامى أيضاً يعنى الأخوة المسيحيين)، فالإسلام إن كان دين الغالبية فهو التاريخ المشترك للكل والسلوك السائد للمسيحى لايختلف عن سلوك المسلم. نحن أمام إرث حضارى مشترك حتى ولو اختلف الدين.. ولو اتسع الأمر فسوف يقيم أساساً صلباً فى مواجهة المشروع الصهيونى والأمريكان.

أفكار حزب العمل

إن حزب العمل قام على الأفكار التى أوردت بعضها فى حدود الوقت.. وعلى هذا فإن الإسلام هو دين للغالبية لكنه حضارة لكل المصريين والعرب.

ويمثل حزب العمل تجاوزاً لخلافات الماضى بين عديد من القوى السياسية.. ستجد فى لجنتنا التنفيذية قياديين كانوا فى السابق ناصريين أو شيوعيين أو إخواناً مسلمين وتطوروا وتجاوزوا ماكانوا فيه وتبنوا أفضل ما فى الفكر الإنسانى والحضارة الإسلامية لكى يشكلوا نسيجاً جديداً.. وهذه الصيغة تستجيب للتحديات التى تواجهها الأمة ونحن نمثل تجربة جديرة بالتأمل.

وأدعو إلى قيام جبهة لمواجهة الهجمة الصهيونية.. والإسلام أساسه مهم جداً لقيام هذه الجبهة وإذا كانت هناك خلافات مع بعض الاتجاهات الإسلامية

فينبغى ألا يمتد ذلك للاتجاهات الإسلامية الأخرى، وأظن أن كثيراً من الخلافات التى يعبر عنها حزب التجمع مع بعض التيارات الإسلامية لاتطول حزب العمل الذى يمثل نموذجاً ولايختلف مايطرحه التجمع فى مواجهة الهجمة الصهيونية عما ينادى به حزب العمل. وينبغى على حزب التجمع أن يعيد التفكير فى موقفه من الاتجاهات الإسلامية.

عقب انتهاء كلمة عادل حسين تحدث د.رفعت السعيد فقال:

كان الشافعى على المنبر عندما سأله رجل سؤالاً فقال الشافعى: «لا أعلم». قال الرجل: «وهل هذا مقام من لايعلم»؟ فأجاب الشافعى: «نعم هذا مقام من لايعلم فمن عنده علم بكل شئ لامكان له سبحانه وتعالى». **هذه إشارة أولى.**

الإشارة الثانية جاء فى الصحيحين عن على بن أبى طالب قال: سمعت رسول الله يقول سيخرج قوم فى آخر الزمان حداد الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول خير البرية، لايجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. «فإن لقيتموهم فاقتلوهم. فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة». هذا حديث أتمنى أن يكون شعاراً لمواجهتنا للإرهابيين القتلة.

فى اللغة العربية، فلتأذنوا لى أن أتحدث. أرفض أن يسمى التيار الذى نحن بصدده بالأصوليين، فالأصوليون هم الراغبون فى العودة إلى الأصل

والأصل جليل ومفترض فيه كلية الصحة ونحن نعتقد أنهم ليسوا كذلك. وأرفض أن نسميهم بالمتطرفين. فالتطرف لغة هو الوصول إلى أقصى الشئ، وليس الخروج عن حدوده كما جاء فى مختار الصحاح من باب طرف والطرف الناحية أو الطائفة من الشئ ويقال فلان كريم الطرفين أى يراد به نسب أبيه وأمه. ونحن نعتقد أنهم فى مواقف عدة يبتعدون عن حدود الأصل. ونرفض أن نسميهم بالسلفيين فالسلفيون هم الراغبون فى الاقتداء بالسلف. وسلف الرجل هم آباؤه المتقدمون. ونحن لانعتقد فيهم ذلك. كما نرفض أن نسميهم بالصحوة الإسلامية أو بالتيار الإسلامى أو الجماعة الإسلامية فالإسلاميون أو الإسلامى صفة والصفة عند النحويين هى تمييز الشئ عما عداه. وإن أضيفت إليها « أل ». إذا قلنا الإسلامى فإنها تعنى استغراق الشئ كله لتمييزه جملة عما عداه. كأن تقول الشعب المصرى كى نميزه عما عداه. فإن اتفقنا على أنهم التيار الإسلامى فغيرهم يكون غير ذلك. ولهذا ائذنوا لى أن أسميهم « بالمتأسلمين ». والتاء هنا تعنى فعل شئ « كأن تفعل » فإن تأخرت عن الاسم كانت ضميراً وإن تقدمت كانت علامة، وهى علامة عندنا على التشبه بشئ لكنها ليست الشئ ذاته. فأنت تقول تأسلم كما تقول تأقلم وتمسكن وتأرجح فى مشيته أى تشبه بالأرجوحة لكنه ليس كذلك.

الهامش الثالث هو أنه يتعين علينا أن نميز بين العنصر الإيمانى فى الدين وبين العناصر السياسية والاجتماعية الأخرى، هذا التمييز هو الذى يمكنه أن يفسر لنا عدم تلازم عنصر الإيمان مع تصاعد أو هبوط النشاط السياسى والاجتماعى، فهما عنصران غير متلازمين، قد يصعد أحدهما ويهبط

الآخر فإن تلازما معا كنا أمام ظاهرة غريبة. وإلا اعتبرنا أن تلك المذابح البشعة التى جرت فى لبنان بين شيعى وسنى، ثم بين شيعى وشيعى، أو تلك المذابح المجرمة التى تقع فى أفغانستان بين كل من يدعى أنه من المجاهدين. إنها دليل صحوة إسلامية، فذلك شئ وصحيح الدين شئ آخر .

الخيمة واحدة

الملاحظة الأخرى هى أننى أعتقد أن الجماعات المتأسلمة ثلاثة أقسام. جماعة الإخوان، والإرهابيين المتمثلين فى الجماعة التى تسمى نفسها بالجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد ، وأحزاب أخرى مثل حزب العمل وحزب الأحرار. وابتداءً أسجل أننى لست أتفق مع صديقى الأستاذ عادل حسين فى أن الجماهير لها اختيار واضح هو الصحوة التى ينادى بها هو، فذلك رأيه. ومن حق كل طرف أن يعتقد أن رأيه صحيح. لكن من حقنا قبل أن نقرر التفريق إلى ثلاثة أقسام أن نسجل أن الخيمة واحدة وأن الوعاء الفكرى واحد. وهذا ما سأكرس كامل وقتى لتأكيده.

لكن مايهمنى هنا هو أن أقرر أننى أجهدت نفسى كثيراً لكى أتمكن من التفرقة بين مقولات حزب العمل وجماعة الإخوان المسلمين وفشلت. فإن أتيت بجريدة الشعب ورفعت اسم الأستاذ مصطفى مشهور من على مقاله ووضعت مكانها الأستاذ إبراهيم شكرى أو الأستاذ عادل حسين أو الأستاذ مجدى أحمد حسين لسار الأمر مساراً طبيعياً ولما لحظ أحد الاختلاف. نحن إذن

لاندعى أن أحداً يرتبط بأحد أو شيئاً من هذا القبيل. لكننا نقول إن الخيمة الفكرية واحدة ومن هنا فإن من حقنا أن نتعامل على أساس الخيمة الفكرية وهذا التعامل ليس فقط فى مجرد الحديث وإنما أيضاً فى السياسة.

من أين يأتى التطرف؟ من ستة أبواب أولها: القول بأن لجماعة ما الحق فى أن تدعى أنها «جماعة الإخوان المسلمين». وليس «جماعة من المسلمين» وجماعة المسلمين هم أهل الحل والعقد فى الإسلام من والاهم فقد والى صحيح الدين ومن فارقهم فقد فارقه. ثم ومن خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف. فلعل الأستاذ حسن البنا كان أول من نفذ ذلك فى العصر الحديث إذ قال فى «مذكرات الدعوة والداعية» إنه عندما اختلف معه بعض زملائه أمر بضربهم فضربوا بتعبيره علقة ساخنة. وهو كان رجلاً دائماً ينتقى ألفاظه ولست أدرى كيف استخدم هذه الألفاظ، لكنه أضاف: «ومن خرج على الجماعة فاضربوه بحد السيف». ففى اعتقادنا أن صفة جماعة المسلمين لايمكنها أن تسرى ولايجوز لها أن تسرى على أية جماعة أو أى حزب أو أية فئة مهما اتسعت وحتى مهما اقتربت من صحيح الدين وإنما هى تعنى الرأى العام المسلم والمصلحة العامة للمسلمين بمجموعهم وشموليتهم ذلك أن اختصاص أية جماعة بهذه الصفة يفتح الباب واسعاً فى التكفير لأن من خرج عن الجماعة فاضربوه بحد السيف.

يقول الأستاذ المرشد حسن البنا:

«أتحسب أن المسلم الذى يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة ويترك

الدنيا والسياسة للعبثة الآثمين، يسمى مسلماً؟ كلا إنه ليس بمسلم» وطبعاً أنتم تعلمون معنى أنه ليس بمسلم. وهكذا فإن افتقاد «منْ» يؤدى بنا إلى اعتقاد كل جماعة أنها هى أهل الحل والعقد فى الإسلام. بل إن حسن البنا يقول فى مذكرات «الدعوة والداعية» وهو يتحدث عن مقررات المؤتمر الثالث للجماعة «على كل مسلم -وهذا رد على كلام عادل حسين- أن يعتقد أن هذا المنهج أى منهج جماعة الإخوان المسلمين كله من الإسلام وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة.

أما شكرى مصطفى، وليس صحيحاً أن الجماعات الإرهابية خرجت من وعاء مختلف وعادل حسين يعرف ذلك أكثر منى، أن الأخ شكرى مصطفى كان أخاً مسلماً وكان مسجوناً فى سجن طره مع الإخوان المسلمين وأنه ليس سوى قطبى أى من أتباع سيد قطب لكنه مد الخط على استقامته. يقول شكرى مصطفى فى كتابه «التوسمات» «إن الإسلام ليس بالتلفظ بالشهادتين ولكنه إقرار وعمل ومن هنا كان المسلم الذى يفارق الجماعة المسلمة -وهذا اسم التنظيم الذى يترأسه -كافراً».

الفهم النصى

الباب الثانى للتطرف هو الفهم النصى للقرآن والسنة والمسلمون تاريخياً يتعاملون مع النص القرآنى والأثر النبوى بطريقتين إما الفحص النصى أو الفحص الاستدلالى أى استعادة التجربة والسبب والواقعة التى نزل بسببها النص وتظن النص على هذا الأساس.

كان الخوارج يأخذون بالتفسير النصى للقرآن فلما عرضت عليهم الآية الكريمة التى تقول على لسان نوح عليه السلام «وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفارا» فأفتوا بقتل الرجال والأطفال حتى لايشبوا كافرين ويلدوا كفاراً. أما الآية الكريمة «فقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين» فقد جعلتهم يقتلون ويعذبون ويتشفون معتقدين أن هذا هو صحيح الإسلام. يقول ابن حزم فى كتاب «الصفة». كان الصحابى الجليل عبد الله بن خباب يمضى ومعه زوجته فى طريق به جماعة من الخوارج فحاول البعض منعه لوجود الخوارج فرفض وقال لهم دعونى وعلق المصحف فى عنقه ومضى. فأمسك به الخوارج وقالوا: إن هذا المصحف الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك فقال كيف؟ فقالوا له ماقولك فى أبى بكر قال خيراً، فما قولك فى عمر قال خيراً، فما قولك فى عثمان قال خيراً، وماقولك فى على وقبوله التحكيم، قال على أعلم منى ومنكم بالقرآن. فأخذوه على حافة النهر وذبحوه أمام زوجته. ويمضى ابن حزم قائلاً: «وكان إلى جوارهم ضيعة صغيرة لأحد النصارى- وهذا هو الكلام الذى يوجهه عادل حسين للنصارى- فذهبوا إلى صاحبها فقالوا له بع لنا بعضاً من تمر قال خذوه بلا ثمن قالوا لكن ديننا ينهانا عن ذلك فقال لهم أتقتلون ابن خباب وتحافظون على تمرى؟؟؟ لكن صحابيا آخر أدرك قواعد اللعبة فكان يمضى فى ذات الطريق قالوا له قتلوا ابن خباب قال لهم دعونى وتعالوا معى وسوف أمرق بكم منهم، فمضى فسأله الخوارج من أنت قال نحن مشركون قالوا ابتعدوا، قال مشركون نستجير منكم قالوا ابتعدوا، قال ألم تسمعوا بالآية الكريمة «فإن أحداً من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع

كلام الله» فجلسوا وأسمعوهم كلام الله فقالوا لهم امضوا فى حال سبيلكم فقال لهم ألم تسمعوا لبقية الآية التى تقول «حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه». فأرسلوا معهم حراساً حتى أبلغوه مأمنه هكذا يكون التلاعب بالنص ومن هنا يأتى التطرف من التلاعب بالنص، أما الفهم الاستردادى للنص فإنه هو الذى يضع النص فى إطاره الصحيح ويجعلنا قادرين على فهمه. فالإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة على أساس الفهم الاستردادى لهما أما كتب الفقه جميعاً فهى اجتهادات بشرية متعلقة بزمانها وبمكانها وتحتمل الاختلاف معها سواء فى زمانها أو فى مكانها أو فى رؤيتها. وبطبيعة الحال تختلف الروايات ولو أخذنا برواية الفقهاء لالتبس علينا الأمر. فالطبرى فى كتابه تاريخ الأمم والملوك يورد فى صفحة واحدة هى صفحة ٨١ أربع روايات عن إبليس منها ثلاث متناقضة، وكل منها منسوبة إلى ابن عباس. وابن عباس واحد من أشهر رواة الحديث. لكن الطبرى كان عاقلاً فأورد العبارات بجوار بعضها البعض ليقول للناس حكموا عقلكم فى الروايات، واختاروا مايستريح إليه عقلكم وضمائركم كمسلمين. أما أن يأتى أحد ويفرض علينا رؤية فذلك اجتهاد إنسانى. هو بشر ونحن بشر. هو يعرف الإسلام ونحن نعرفه والله أعلم من منا يعرفه أكثر.

الباب الثالث هو تسييس الدين أو تديين السياسة وهو خطأ فى اعتقادنا فى حق الدين وفى حق السياسة وفى حق البشر. فالدين إلهى شمولى كلى الصحة والسياسة فعل إنسانى. ومن ثم فإن الخلط بينهما هو محاولة للخلط بين ماهو إلهى وبين ماهو إنسانى ويضفى حصانة دينية على أفكار ومواقف

وأقوال سياسية تحتمل الصحة والخطأ. والسياسة تحتمل المناقضة والرد والنقد والمعارضة، لكن الحصانة الدينية تحول دون ذلك فماذا ستقول لفرد يقول القرآن دستورنا وهل ترد عليه بأنك غلطان أم تخضع له، أو إذا قال الإسلام هو الحل هل تقول له أنت مخطئ أم تخضع له. كما أن تديين السياسة يحتاج صاحب الرأى السياسى ذو المسحة أو الغطاء الدينى إلى الاعتقاد بصحة مايقول صحة مطلقة. وإن مخالفته مخالفة لصحيح الدين ومن هنا يأتى التكفير أو يأتى الاعتقاد بأن الجماهير تتبعهم.

كان الإخوان هم أول من دعوا إلى تسييس الدين وتديين السياسة ودعوا إليها مؤذنين بالدماء. والشيخ حسن البنا لم يقل شعراً كثيراً لكنه قال هذه الأبيات:

الدين شئ والسياسة غيره

دعوى نحاربها بكل سلاح

قد جاء طه عابداً ومجاهداً

دك الحصون وقص كل نجاح

أما الأستاذ عبد الحكيم عابدين فقال شعراً:

لنجرينها دماءً جد بشائره.

وثورة الحق لايُدرى لها أمد

أو يصبح الشرع دستوراً لأمتنا

فليحذر القوم إنى منذر صعد.

ولكن أى تسييس للدين يريدون؟،

لقد قرر الشيخ حسن البنا أن يسيس الدين لكنه فى ذات الوقت يطالب بحل كل الأحزاب: «لقد آن الأوان أن ترتفع الأصوات للقضاء على نظام الحزبية فى مصر وأن يستبدل به نظام تجتمع فيه الكلمة وتتوفر جهود الأمة حول منهاج قومى إسلامى صالح». وفى «الرسائل الثلاث» قال حسن البنا «وحل الأحزاب السياسية سيتلوه قيام حزب واحد على أساس برنامج إسلامى صحيح. ولابد من جديد لهذه الأمة وهذا الجديد هو تعديل الدستور تعديلا جوهريا توحد فيه السلطة».

ثم قال فى كتابه «مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى» ولمن شاء التدقيق ص٦٠: «إن أهل الشورى يكونون إما من رجال الدين أو من الرجال المتمرسين على القيادة مثل رؤساء العائلات والقبائل. ولاتكون الانتخابات بمقبولة إلا إذا أسفرت عن أناس من هذين الصنفين». ويردد أبو الأعلى المودودى المفكر الأعلى لهذه الجماعات هذه العبارة: «الإسلام لايجعل من كثرة الأصوات ميزانا للحق فإنه من الممكن فى نظر الإسلام أن يكون الفرد أصوب رأيا وأحد بصراً فى مسألة من المسائل من سائر أعضاء المجلس فالأمير له الحق أن يوافق الأغلبية أو الأقلية فى رأيها وكذلك له الحق أن يخالف أعضاء المجلس جميعاً فيقضى برأيه هو. وأذكر أن صالح عشماوى قال: «فى بداية عهدى بالدعوة سألت الأستاذ الإمام فقال من حقك أن تخالف إجماع الهيئة فقال من حقى كأمير»، إذن نحن إزاء حالة غريبة جداً. تسييس الدين، والحزب الواحد ويقوم هذا الحزب بتوحيد السلطات ويلغى التفرقة بين السلطات الثلاث وبعد توحيدها يحكمنا أمير والأمير لايخضع لإجماع أهل المجلس وإنما من حقه أن يفتى برأيه هو!! هذه هى التى يدعون أنها

الديمقراطية الإسلامية ولكن الإسلام من ذلك برئ. ويقول أبو الأعلى المودودى «إن المبدأ الرئيسى للديمقراطية الجديدة أن الناس بيد أنفسهم حكمهم وتشريعهم وإلى أنفسهم كل التصرف فى القوانين، يصنعونها كما يشاءون ومن البديهى أنه إذا كانت قوانين الحياة الاجتماعية تابعة للرأى العام، وكانت الحكومة كالعبد لآلة هذه الديمقراطية الجديدة فلابد لسلطات القانون والسياسة أن تصون المجتمع عن الانحلال الخلقى. أى إذا أعطينا الحق للأغلبية فى التشريع فلا يمكن لسلطات القانون والسياسة أن تصون المجتمع من الانحلال الخلقى ولا يكون للحق والخير والصلاح مقياس غير كثرة الأصوات فى حق هذا الجانب أو ذاك لأن اقتراحا مهما بلغ خبثه وضرره إن كان قد نال من رضا العامة مايكسبه أصوات ٥١٪ فلا شئ يمنعه أن يسمو إلى مرتبةالشرع».

إن تسييس الدين يؤدى إلى الخلط بين جماعة سياسية وبين الدين ذاته وهم حريصون على هذا الخلط أى مايسمى الخلط بين الدين والفكر الدينى. الدين شئ جليل كلى الصحة، أما الفكر الدينى فمتاع بشرى والفارق واضح. لكن الإخوان -وهذا رد على اتهام عادل حسين لنا بالخلط بين الإسلام والإخوان المسلمين -وأقول له لسنا نحن الذين نخلط بين الإسلام والإخوان المسلمين. ولكنهم هم الذين يفعلون ذلك. وصالح عشماوى كتب فى مجلة الدعوة عدد ١٩٥١/٤/٢٤، «إن أى اضطهاد للإخوان هو اضهاد للإسلام». والأخ عبد القادر عودة وهو يقود المظاهرات فى مارس١٩٥٤ احتجاجاً على سجن بعض الإخوان وقف يهتف قائلاً «الإسلام سجين».

الغالب يحكم

وسأل أحد أعضاء التنظيم سيد قطب -وهذا وارد فى اعترافاتهم -فى مدى جواز أكل ذبيحة المسلمين من غير أعضاء التنظيم قال: «دعهم يأكلوها فليعتبروها ذبيحة أهل كتاب». أى أن من لاينضم إلى جماعتهم يكون فى أحسن الأحوال من أهل الكتاب. وسيد قطب فى كتابه «فى ظلال القرآن» فى الجزء السادس ص٣٩٨٤ يقول «والمسلم الذى لاينتمى إلى حركة إسلامية حقة كان قلبه مفتقراً إلى حقيقة الإسلام». وفى كتابه «هذا الدين» يقول: «حتى إذا كان المسلم مؤمنا حق الإيمان فإنه سيظل شقياً، حتى ينضم إلى الجماعة. الأستاذ سيد فى كتابه «خيوط خطة» -وهذا اسم كتاب سرى كتبه ووزعه على الإخوان- يقول «حماعة الإخوان ليست قطاعاً من هذا الشعب. ولا قطاعاً من المجتمع العربى أو العالمى وليست من رعايا الحكومة المحلية، إنها كينونة جديدة تنشأ منفصلة عن هذه التشكيلات الوطنية والقومية والعالمية، فمن ثم فمعنى بيعة الإخوان للمرشد هو إننا نقيم لنا قيادة غير قيادة الشعب، وإمارة غير إمارته وأننا نخلع طاعتنا وولاءنا لمحكومية هذا الشعب- ولاحظوا أنهم لم يقولوا لمحكومية الحكومة- لنسلمها إلى أميرنا».

أما الباب الرابع للتطرف فهو القول بوجوب وجود حكومة دينية أى ما أسماه عادل حسين أحياناً بالخلافة. وفى العصر الحديث أول من نادى من السياسيين بالخلافة هو أيضاً الأستاذ حسن البنا وهذا يوضح أنهم جميعاً متشابهون وهو مايتنصلون منه، قال حسن البنا إن الخلافة شعيرة إسلامية، وقال إن الخليفة هو الإمام الذى هو واسطة العقد ومجمع الشمل ومهوى الأفئدة وظل الله فى الأرض. وقال الشيخ عمر عبد الرحمن نفس الكلام:

«الإمامة فى الإسلام موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا والخليفة فى الإسلام مهمته وراثة النبوة». يعنى أحدهم يقول ظل الله فى الأرض والآخر يقول وراثة النبوة. بل إن الجماعة الإسلامية الجهادية فى كتابها «ميثاق العمل الإسلامى» وهو أيضاً كتاب سرى يقولون إننا نسعى إلى إعادة الخلافة على النمط الوارد فى الكتب الشرعية بما فى ذلك السماح بإمارة المتغلب وهى عبارة تعنى أن «الغالب يحكم»، بالقوة والسيف، إذن لاديمقراطية فمن يتغلب يحكم وبأى وسيلة ليس مهماً. ويقولون «وتعدد الأحزاب فى المجتمع المسلم مرفوض فلايوجد فى المجتمع المسلم إلا حزبان حزب الله المأمور بإقامته وحزب الشيطان وقيامه ممنوع» وهذا الكلام هو نفس ماتقوله جماعة الإخوان المسلمين. ويقول إن «الحكم الدينى هو محض استنباط لحكم الله». وهذه كارثة أخرى فسيصبح كل كلامهم استنباطاً لحكم الله ولن يجرؤ أحد على المعارضة.

يقول الآمدى وهو أحد كبار الفقهاء فى «غاية المراد فى علم الكلام» وهذا الكتاب ليس من إصدارى ولكنه من إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧١، «إن الكلام فى الإمامة ليس من أصول الديانات ولا من الأمور «اللابديات» من باب لابد - أى من الضروريات الدينية بحيث لايسع المكلف الإعراض عنها والجهل بها بل لعمرى لأن المعرض عنها أرضى حالاً من الواغل فيها فإنها لاتنفك عن التعثر والأهواء وإثارة الفتن والشحناء والرجم بالغيب فى حق الأئمة والسلف بالإغراء وهذا كون الخائض فيها سالكاً سبل التحقيق فكيف إن كان خارجاً عن صواب الطريق».

لكن لدينا مشكلة هى أن الرسول (ص) لم يترك وصية ولم يحدد للمسلمين شكل الحكومة الدينية، ولم يحدد لهم شكل الحاكم ولا أسلوب اختياره. ولما اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ذهب أبو بكر وعمر إليهم وقالا: يامعشر الأنصار فإنكم لاتذكرون عنكم فضلا إلا وأنتم له أهل، لكن العرب لاتعرف هذا الأمر -أى الخلافة- إلا لهذا الحى من قريش. ويوجه أبو بكر حديثه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج:

علمنا ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد «قريش ولاة هذا الأمر» فقال سعد: صدقتم وصدقت فنحن الوزراء وأنتم الأمراء.

وهنا يحدد الفقهاء شروط الإمام، فهو عند جمهور أهل السنة أن يكون مسلماً ذكراً بالغاً عاقلاً وقرشياً. ولكن الشيخ عمر عبد الرحمن أضاف «على الأرجح» لأنه ليس قرشياً!!. إذن كيف يكون إماماً فقالوا «على الأرجح». وأئمة المذاهب الأربعة متفقون على ذلك، سندهم الحديث الشريف «الأئمة من قريش» ولكن الإمام نجم الدين النسفى المسمى بإمام الفقهاء فى كتابه «العقائد النسفية» يشترط فى الإمام أن يكون من قريش ولايجوز من غيرهم. فهل يمكن؟.

يقول القاضى عضد الدين فى كتابه «المواقف»، الذى يعتبر من أهم كتب أهل السنة «إن وجوب نصب الإمام على المسلمين يتحقق إذا وُجِدَ شخص مُسْتَجمع لشروط الإمامة وإلا فلا يجب». إذن لماذا تثار تلك الأمور مرة أخرى، لأن هناك (من يتهيأ له) أن تجتمع فيه شروط الإمامة، وسمى نفسه ابتداءً خادم الحرمين الشريفين. وبدأنا نسمع الدعاوى إلى الإسلام السعودى فى

محاولة لنصب خليفة هناك. لكن الرسول يسد الطريق على الجميع، ومحدثيهم فيقول في حديثه الشريف «الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تصير مُلكاً عضوضاً». الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ليس أكثر. الذي فهم هذه الحكاية جيداً معاوية فقال:

«أنا أول الملوك» وكان الرسول قد قال ثلاثين سنة وانتهت الثلاثون سنة فجاء معاوية وقال: أنا أول الملوك. وعندما زار المدينة استقبله سكانها مرحبين لكنه وقف قائلاً: «أما بعد.. فإني والله ماوليتها بمحبة علمتها منكم ولامسرة بولايتي ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، أيها الناس اعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم مني بأمور الدنيا والآخرة».

أما زياد بن أبي سفيان والي معاوية على البصرة فقال:

أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم رادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا. ثم أرادها معاوية وراثية فجلس في مجلس البيعة ووقف يزيد بن المقفع ليلخص نظرية الحكم فقال:

«أمير المؤمنين هذا» وأشار إلى معاوية. «فإن هلك فهذا» وأشار إلى يزيد. و«من أبى فهذا» ورفع السيف فقال معاوية «أنت سيد الخطباء».

بل إن قائد معاوية مسلم بن عقبة الذي ذهب إلى المدينة ليفرض عليها مبايعة يزيد أشاع القتل والدمار والسبي في بنات المدينة. ويقال إن رجاله قد فضوا بكارة ألف بكر من بنات المدينة. ورمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق، وصمم على أخذ بيعة الناس هناك كالعبيد، فمن قال بايعته على كتاب الله وسنة رسوله قتله لأنها بيعة مشروطة. قال: أريد بيعتكم كعبيد بغير شرط.

أما يزيد نفسه فكان سكيراً لايفيق. أما الوليد بن يزيد فيصفه السيوطى بقوله «كان فاسقاً شريباً» للخمر منتهكاً حرمات الله، أراد أن يحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، أما الوليد بن عقبة الذى ولاه عثمان على الكوفة فكان يشرب الخمر مع ندمائه طوال الليل حتى الصباح، فلما أذن المؤذن تقدم إلى المحراب سكراناً وصلى بالناس أربعاً، والتفت إليهم قائلاً: هل أزيدكم؟ ويرفع السيوطى تحت شعار «تأسلم حتى تتمكن».

عندما يحكمون؟!

ويتظاهر البعض بالتقوى الآن ولانعرف ماذا سيفعلون عندما يحكموننا. لكننا نشير إلى قول جاء فى السيوطى، كان يتحدث عن الخليفة عبد الملك بن مروان الذى حكم من ٧٣هـ-٨٦هـ. يقول «كان عابداً زاهداً ناسكاً في المدينة قبل الخلافة». وقال نافع عنه «مارأيت فى المدينة شاباً أشد تشميراً، ولا أفقه ولا أنسب ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان حتى سماه الناس «حمامة المسجد». فلما أتاه خبر مبايعته بالخلافة كان المصحف فى حجره فأطبقه قائلاً: هذا آخر عهدنا بك، ووقف فى الناس خطيباً وقال: «أيها الناس لست بالخليفة المُسْتَضعف (مشيراً إلى عثمان) ولا بالخليفة المُداهِن (مشيراً إلى معاوية) ولا بالخليفة المأثوم (مشيراً إلى يزيد) ألا إنى لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم، والله لايفعل أحد فِعْلة إلا جعلتُها فى عنقه. والله لايأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه». هكذا تأسلم عبد الملك بن مروان حتى تمكن من الخلافة. فماذا يضمن

لنا إذ يفعلها فينا المتأسلمون فيما بعد؟.

لو كانت مسألة الخلافة كما يظن البعض من المسائل الدينية الرئيسية، لبين الرسول الأكرم الذى لم يضن ببيان وصاياه فى أبسط الأمور والفروع على أمته، لقد تحدث الرسول عن العادات والتقاليد وعن تقليم الأظافر وعن إعفاء اللحى وعن النظافة وعن الطعام وعن الآداب وعن الأخلاق. فلو كانت الخلافة والحكومة الدينية أصلاً من أصول الدين فلماذا سكت عنه الرسول؟.

ديكتاتورية أفدح

فى القرآن الكريم «اليوم أتممت لكم دينكم». فالدين جاء كاملاً بغير نقص. إذن فكل ما تُرِكَ مسكوت عنه والمسكوت عنه يدخل فى باب الاستحسان. وهكذا فإن فكرة الحكومة الدينية ليست من الأصول، والقول بها يضعنا ونحن فى دول العالم الثالث فى مأزق الخضوع لديكتاتورية دائمة إلى ديكتاتورية أفدح. لا انتخابات، لا أحزاب، لاديمقراطية، لا معارضة، ثم حاكم يقول تارة بأنه ظل الله فى الأرض أو أنه وريث النبوة، حاكم يخلط بين الدين وبين شخصه. ولاتداول للسلطة لأن البشير مثلاً فى الخرطوم لايعتبر إنه يحكم شخصياً ولكن يعتبر أن الإسلام تفيأ ومن ثم فالمتظاهرون ضده يطلق عليهم الرصاص، ويشنق من يقبض عليه. لأنه لايتظاهر ضد حكم البشير وإنما يتظاهر ضد حكم الإسلام. وإذا حكم هؤلاء فلاتداول للسلطة لأنهم يعتقدون أن الإسلام تفيأ، لايعتقدون أن أفراداً أو حزباً أو جماعة قد حكموا ولكنهم يعتبرون أنها حكومة الإسلام، وما من أحد يستطيع أن يزيح حكومة الإسلام.

أيها الإخوة: البعض يقول بأن سيد قطب رجل متطرف ولا علاقة للإخوان المسلمين به. حسناً، أرسل الأستاذ الهضيبي إلى الإخوان بالواحات مؤكداً أن تفسير سيد قطب للقرآن هو الحق الذي لايسع أي مسلم أن يقول بغيره. والأستاذ صفوت منصور وهو من الإخوان المسلمين المكرمين في كتابه «المنهج الفكري للعمل الإسلامي» يقول:

وسيد قطب صاحب كتاب «معالم في الطريق»، يعد في ميزان الرجال عماداً هائلاً في تجديد شباب حركة الإخوان المسلمين، وهو الامتداد الفكري والحركي لجماعة الإخوان. أما الأستاذ صلاح شادي وكلكم يعرفه في كتابه «الشهيدان» يقول: «لقد كان حسن البنا البذرة الصالحة للفكر الإسلامي، وكان سيد قطب الثمرة الناضجة». ومن يعرف الفارق بين البذرة والثمرة ويعرف قيمة حسن البنا عند الإخوان يستطيع أن يعرف قيمة سيد قطب عند الإخوان.

وفي مضبوطات سيارة الجيب ضُبِطَتْ ورقة تقول: «إن القتل الذي يعتبر جريمة في الأحوال العادية يفقد صفته هذه ويصبح فرضاً واجباً على الإنسان إذا استعمل كوسيلة لتأمين الدعوة» وكل من يناوئ الجماعة ويحاول إخفاق صوتها مُهْدَر دمه وقاتله مُثاب على فعله.

وعلى فكرة، لو طبقوا ذلك لما كان عادل حسين أمينا لحزب العمل لأنه كان آيامها يُناوئ الدعوة فلو كانوا قد طالوه لقتلوه ولما تركوا له الحق في التوبة على طريقته.

يبقى بعد ذلك أن هذه الجماعات جميعاً تتفق في العبث بالوحدة الوطنية وإهانة الإخوة الأقباط. ذكرت جريدة مصر في ١٩٤٧/٥/٣ أن جماعة الإخوان

قد أقامت حفلاً أمام كنيسة مارى جرجس وكان الخطيب الإخوانى يردد: «غداً تؤول شركة المياه إلينا فلاتترك فيها قبطياً واحداً وغداً يسيطر المسلمون على جميع الشركات فلايبقى فيها قبطي واحد». أما الشيخ الغزالى قطب الاعتدال فى جماعة الإخوان المسلمين ففى كتابه «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» يقول: «إن اتفاق زعماء المسلمين والنصارى إبان ثورة ١٩، كان على أن ينسى الجميع أديانهم فى سبيل طرد العدو. وهو اتفاق غريب وتنفيذه أغرب». وقال: إن كثرة الموظفين النصارى فى الإدارات المصرية إقصاء للإسلام وتغليب لغيره عليه». أما جريدة «الدعوة» ففى يناير ٨١ نشرت فتوى حول حكم بناء الكنائس فى مصر: «أن بناء الكنائس محرم فى كل بلد استحدثه المسلمون، وأنه محرم فى البلاد التى فُتحَت عَنْوة أما فى البلاد التى فتحت صلحاً فلا يجوز إصلاحها أو بناء غيرها».

هنا يحق لى أن أسأل: إنْ ذهب فتى طائشُ ليحرق كنيسة فَمَنْ الذى حرقها ومن الذى ارتكب هذه الجريمة؟ الذى أفتى بهذه الفتوى الشنعاء أم الذى حمل الرشاش؟.

أخيراً.. نأتى إلى حزب العمل الذى -وبخجل شديد- يعلن أحياناً أنه ضد العنف الإرهابى وإن كان الأخ عادل حسين لم يتفضل بذلك الآن، لكنه يعود ليمجده. فعندما نُفذ حكم الإعدام فى إرهابى «حادث زينهم» أسمتهم جريدة الشعب «الشهداء الأبطال الأبرار» وأنتم تعرفون مكانة الشهيد فى الإسلام. ولست أدرى لماذا يترك لهم كاتب هذا المقال مجد الشهادة وحدهم ولايشاركهم فيها. وحزب العمل يدعو إلى حكومة دينية غامضة لم يفسرها لنا، ولم يحدد

موقفاً صريحاً من قضية الديمقراطية والتعددية الحزبية والقانون الوضعى الآن وفى المستقبل، وتداول السلطة وهل يمكن أن ينزل حكام متأسلمون من تفيؤهم أم يعتبر ذلك إنزالاً » لرايات الإسلام؟ هل نحن الآن ديار إسلام أم ديار حرب؟ هذه أسئلة لم يجب عنها حزب العمل. هناك ممالأة الحكومات المتأسلمة على حساب الوطن. أدهشني مانشرته جريدة «الشعب» فى زهو وسعادة غامرة أن الحكومة المصرية لم تضف حلايب إلى الدوائر الانتخابية المصرية. ولكن عندما فعلتها حكومة السودان وأضافت حلايب إلى الدوائر الانتخابية السودانية صمتت جريدة الشعب ولم تُشر إلى ذلك.

تمجيد البشير

ويطالب حزب العمل بالديمقراطية ويطالب بحرية النقابات، يطالب بحرية الانتخابات، يطالب بحرية العمل الحزبى لكنه يُمَجِدْ حكم البشير، وهنا يفقد مصداقيته لأن حكم البشير ليس ديمقراطياً، إلا إذا كان يتصور أن هذا هو حكم الإسلام فإن كان هذا هو حكم الإسلام فالويل لنا جميعاً لأن مايفعله البشير هو مجرد جريمة صغيرة فى حق شعبه.

تعقيب

وقد عقب عادل حسين قائلا:

رغم ماجاء بكلمة د.رفعت السعيد فإننى أؤكد أننى جئت إلى هذا المكان لكى أتحاور معه. وللأسف الشديد الدكتور رفعت وهو الذى بدأ الاقتراح ألا يكون الحوار مناظرة، ولكن حديثه كان بالدقة مايعنى بالمناظرة، فقد تحدث باعتباره مؤرخاً أكثر منه أميناً عاماً لحزب معاصر يشتبك فى معارك، ويُدهشنى أن يتكلم عن إدانة الإرهاب والعنف بهذه الضراوة ومستشهداً بكلام فى العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات. والذى يسمع منه هذا الكلام يتصور أنه كان فى تلك الفترة حملاً وديعاً.

ينبغى أن نعمق الحوار، لأننى واحد ممن يؤمنون بأننا جميعاً نرجو خيراً لهذه الأمة ومهما كانت اجتهاداتنا فعلينا أن نستمع لبعضنا البعض.

أيها الأخوة والأبناء: إذا حاكمنا الحركة الإسلامية على كتاباتها فى الثلاثينيات والأربعينيات فعلنا نفس الشئ بالنسبة للحركة الشيوعية ومن عاصروها فى تلك الفترة فإن كتاباتهم كانت لاتقل عن كتابات الإخوان إن لم تكن أشد وعداً بالعنف وسفك الدماء يعنى النشيد الذى كنا نحفظه.. ياشعب قم خض بحار الدماء. وكان الفارق بين عنف الإخوان والعنف الذى قالت به الحركة الشيوعية وأنا كنت فى الحركة الشيوعية أننا كنا نعيب على عنف الإخوان أنه عنف يقصد أفراداً وهذا عنف لايحل المشكلة وإنما ينبغى أن

يكون العنف جميعاً؛ أى أن تذهب فيه ضحايا أكثر ومصاريف منظمة حتى يكون فعالاً. وبغض النظر عن صحة أو خطأ تلك النظرة فنحن الآن نعيش نفس التجربة وغارقون فى بعض مآسيها. والدكتور رفعت يستخدم مصطلح المتأسلمون أى أنه يصف كل دعاة الحل الإسلامى بأنهم متأسلمون أى أنهم يدْعون الإسلام. ولكن هل يعنى هذا الكلام أنه هو صاحب الحل الإسلامى الصحيح؟. وهذا يهمنى من ناحيتين، الأولى أنه وقع فيما يتهم به خصومه بأنهم مفرطون أى مخالفون للشريعة. أى أنه يتهم خصومه أو يصف خصومه بأنهم أصحاب اجتهادات خاطئة باعتباره هو صاحب التصور السليم. إذن الأمر هو خلاف والحقيقة أن كل الخلافات فى التاريخ الإسلامى منذ الشافعى عندما قال: «قولى حق يحتمل الخطأ وقول غيرى خطأ يحتمل الصواب» فهذا هو أمد الاختلاف فكلنا يمكن أن يختلف. ولكل طرف مظاهر اختلافه بحيث رغم اقتناعه بأن رأيه صواب إلا أنه مستعد فى أى لحظة أن يتخلى عنه لو كان غيره أصدق.

فلو كان الصديق د.رفعت يقول إنه يختلف مع الأفكار الأخرى لأنها على غير فهم لصحيح الإسلام كما يقول وأنه بالتالى يمثل الفهم الصحيح فإذا كان الأمر كذلك فإننى أقر معه بأن التاريخ الإسلامى شهد كثيراً من المآسى ولاندعى غير ذلك ومطلوب أن نستمد منها العبر. وينبغى أن نطمئن إلى أن هذه العبر أو المساوئ التى سبقت ينبغى ألا تتكرر وأن نقلل من إمكانية أن تتكرر. حتى تصبح بالصورة التى رضيناها جميعاً. وعدم التشبث بمفاهيم خاطئة. ونريد أن نستعيدها هنا بشكل أنقى وبشكل أرقى مناسبة لعالمنا المعاصر.

وإذا كان الحوار في إطار التوافق الإسلامي الذي يحدد الأهداف العامة ويحدد نوع الخلاف وحدود الخلاف ووسائل حل هذا الخلاف. فنتحاور في إطار إسلامي يحدد الظواهر المتعلقة بالمشكلة. وأتمنى أن يشمل الحوار في المستقبل كيف نحكم الحكم الصحيح ولكن ماذا لو قام نفر بعمل سيئ وبذلك أصبح الغالب عليهم والمختلف معهم في السياسة في عداد الكفار. لذلك لابد من وضع قواعد تمنع من احتمال قيام هذا العمل وبذلك يمكن أن نغيره. أقصد أن مايثير خلافاً معنا في أننا متأسلمون.

نحن في إطار هذا الذي يحدث، نحن أمام طغيان أمريكي يهدد هذه الأمة في تاريخها وحاضرها ومستقبلها، في إطار أننا جميعاً نتحاور لكي نؤكد الوجه الصحيح للإسلام يمكن أن تضع أهدافا واضحة لننسق جهودنا. وإذا كان المقصود أن نخطط نمواً اقتصادياً، نخطط لهذا البلد معاً صناعياً وعسكريا ونوجهها لإثبات موقعها على الساحة الدولية وأن نحررها من التبعية. إذا كان الأمن المفروض بالقوة هو ذلك فمن منظور الأصول الإسلامية يمكن أن نصل إلى نقاط اتفاق موجودة بحكم التقارب. ولا أعتقد أنه من المفروض أن نسقط هذه الإمكانات الحقيقية والملحة لأننا سنسلك «سلوك يزيد». لكننا نتكلم الآن حول مواجهة الصهيونية، حول محاربة المسلمين حول النضال ضد التبعية وتحقيق العدل في النهاية لنرى أن أي قضية من تلك في المنظور الإسلامي يمكن أن تُفضي بنا إلى حلول نستطيع أن ندافع من خلفها اليوم وليس من ألف سنة ويمكننا القول إنه يوجد الآن عناصر لتحقيق ذلك. ولو كان هذا صحيحاً فإن السؤال سيكون، لقد قلت له نحن في حزب العمل الذي أنا الآن أتكلم باسمه، القضايا التي تثيرها ولا نعرف مثلا إذا كان في الصحف من يفسرون ويبدلون القول.

إن الحوار إذا كان فى محبة الإسلام فنستطيع فعلا أن نصل إلى كثير من النتائج. وأقولها بصدق إن كل الهواجس التى قالها د.رفعت هى هواجس مشروعة. خوفاً من أن يستبد البعض بالإسلام. كما حدث فى التاريخ الماضى من احتكار للدين وهذه أمور نواجهها ويجب أن نصل فيها إلى نوع من الضوابط المشتركة. فمثلا نتفق على مفهوم الدولة المدنية وهل مدنية أم دينية؟ هذه اجتهادات لكن المفروض أن هذه الاجتهادات تخرج بشكل نتائج يبدأ الخلاف بعدها وليس قبلها. وعلى هذا الأساس فأنا أرجو فى تعقيب د.رفعت التالى ألا يغرق فى السرد التاريخى والعودة له. فمن ناحية بعض ما قال أتفق معه فيه ويمثل مشاكل ينبغى للفكر الإسلامى المعاصر أن يضعها حتى نجنب المرحلة القادمة العثرات التى عشناها فى الماضى. وكذلك فإن بعض التعليقات لا أتفق معه وفى هذا سيتسع المقال فيما بعد. وسواء اختلفنا أو اتفقنا المهم هو ألا نضيع الفرصة لكى نركز على فهم التاريخ فنحن أمة تلتزم إلى آراء الإسلام والدولة وهذا هو التاريخ. ونحن يسعدنا أن نوحد الصفوف لمواجهة المشاكل التى تواجهنا والتحديات التى تعترضنا. إذا كان الإسلاميون أصحاب برنامج واضح فى هذا المجال وأنا منهم وقرأت واتفقت فى كثير من الأحيان مع من يقنون له.

أرجو أن تكون هذه روح المناقشة أرجو أن نعود به إلى طبيعته التى أردناها من البداية أى بحيث يكون حواراً مخلصاً وليس مناظرة بمعنى أننى أقول كلاماً وأمضى وأنت تقول كلاماً ما وتمضى. لا.. فنحن أتينا مختلفين بنحو ١٠٠٪ أو ٩٠٪ وبعد الحوار قلت الخلافات كثيراً. وأرجو أن تكون هذه هى الروح التى تسود تعقيب الأخ الزميل د.رفعت.

تعقيب د. رفعت السعيد:

فيما يتعلق بدعوة الحوار فأعتقد أننى لن أعتبر مثل هذا الحوار نهاية المطاف بل أتجاسر فأدعو الأخ الأستاذ عادل إلى حوار وحوارات فى المستقبل أتمنى أن تتواصل حتى نجيب على الأقل عن هذه الكومة من الأسئلة.

يأبى عادل حسين إلا أن يحاول أن يستدرجنى، ببساطة إلى ساحة التأسلم ويبدو أنه يتصور أنه يتناسب معنا.

فيقول إن المتأسلمين كانوا إرهابيين ثم الشيوعيين أيضاً دعاة عنف. نعم صحيح لكن الفارق أخلاقى وسياسى ومبدئى لأن الشيوعيين يدينون العنف ويدينون الإرهاب ويدينون الستالينية، يدينون كل ما ارتكب من جرائم. لكن أرنى إخوانياً واحداً أدان جريمة قتل من تلك التى ارتكبها الإخوان وحتى الأمس.

وأسجل على الإخوان الأعزاء أنهم لايحتملون الرأى المخالف. فلو وقف مائة منهم الآن وأدانوا الإرهاب القديم فلن أسمع لهم لأن الشيخ مصطفى مشهور منذ أسبوع قال: «كنا نفعل ذلك حرباً للصهيونية والاستعمار» وبرر كل مافعل ولم يتجاسر أحد ولايتجاسر أحد أن يفعلها. أن يقف ويطالب من أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين أن يدين ما كان. لكنه لم يحدث وأؤكد أنه لن يحدث لأنه جزء من الأساسيات الفكرية. وأحمد عادل كمال فى كتابه «النقط فوق الحروف» وهو إخوانى صحيح الإخوانية وكان نائب رئيس الجهاز

السرى قال «حركة دون جهاد مسلح يحميها ويحمى دعوتها مجرد تهريج». ومن يأتى هنا ليقول لايوجد إرهاب فى وسط جماعة الإخوان المسلمين فعليه أن يقول هذا الكلام لهم وليس لى، يذهب إلى محمود الصباغ الذى أصدر مؤخراً كتاباً اسمه «حقيقة الجهاز الخاص لجماعة الإخوان المسلمين» يقول فيه «إن القتل غيلة من شرائع الإسلام» وعلى من يريد أن يتكلم أن يذهب إلى أولئك القتلة الذين يروجون للقتل. إذن الأخ عادل قال إذا كنت تسمينا متأسلمين فهل أنت مع الحل الإسلامى الصحيح وخيل إليه بذلك أنه يحاصرنى، لكن نحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحدٍ من رسله. نحن نلتزم بفهم إسلامى صحيح فى حياتنا، فى علاقتنا بربنا.

أما الحكومة الدينية فلا، لأنها لم ترد فى الإسلام، هذا اختراع تريدون أن تحكموا قبضتكم على أعناقنا به.

«الخلافة من بعدى ثلاثون عاماً» وانتهت الثلاثون عاما وانتهى الأمر والآن نريدها ديمقراطية وأنتم تريدونها مجتمع التطرف. لكن يا أخ عادل أنت تدعونى إلى أن أتفاهم وأن أتفهم. وأنا أريد أن أتفاهم وأن أتفهم. وأرجو من الأخ عادل أن يقول كلمة واحدة إدانة للإرهابيين القتلة، حتى أستطيع أن أتفاهم معك.

اغسل يدك من دمائهم حتى أستطيع أن أتفاهم معك، كلمة واحدة انتقد بها إرهاب البشير ومحاربته للتعددية الحزبية وللديمقراطية وللجرائم التى يرتكبها البشير ولو بكلمة واحدة حتى نحس أنكم لن تفعلوها مثله. كلمة واحدة فقط، هذا هو المطلوب فهل تحدد موقفك من الجرائم والحكم الديكتاتورى الذى يرتكب باسم الإسلام سواء فى طهران أو الخرطوم؟ وساعتها يمكننى أن أصدقك. أما هذه الضوضاء التى يحدثها بعض الإخوانيين فتعبير عن مدى حلمكم وديمقراطيتكم وشغفكم بالحوار.

وشكراً

أصوات متداخلة من القاعة غير مفهومة بعضها يهاجم وبعضها يُطالب بالرد وبعضها يصرخ بلا معنى وخرج د. رفعت السعيد ومعه مجموعة من شباب التجمع بينما بقى عادل حسين لفترة وحوله شباب التجمع الذين حرصوا على أن تنتهى الندوة بالهدوء الذى بدأت به، متعهدين بأن تكون هذه المناظرة بداية لحوارات ولقاءات أخرى بين كل القوى التى تجد من مصلحتها ومن مصلحة الوطن أن تعمل معاً ضد كل أعداء الوطن من الإرهابيين والمفسدين.

مصباح قطب

هكذا تبارز الجمهور مع أمينى التجمع والعمل

قبل أسبوعين عقد اتحاد الشباب التقدمي بالتجمع مناظرة بين د. رفعت السعيد أمين عام التجمع، وعادل حسين أمين عام حزب العمل، حول التطرف والاعتدال في الحركة الإسلامية حضرها حشد هائل من الجمهور.

لن يؤمن المرء حتى يكون السؤال، ومحاولة الإجابة، أحب إليه مما سواهما. قول لم يقله أحد، وإن كان يشعر بمعناه بعض الناس، وتتحدد وضعية أى بلد، تقدماً أو تأخراً، بمقدار مايزيد هؤلاء الناس أو ينقصون وهناك من الأسباب الموضوعية، مايجعل ابن آدم يحب الأسئلة أحيانا، أكثر من حب الحياة ذاتها. ذلك لأن ماهو حي في حياتنا (عادل وخلاق ومتطور) مدين لتلك العلامة العجيبة، التى تشبه نصف مفتاح صول، ألا وهى علامة الاستفهام، حين تنبثق فى العقل والقلب والضمير.. عند فنان أو عالم أو فيلسوف أوصوفى ! كان الأمر كذلك مع الحضارة العربية الإسلامية، إبان صعودها، كما كان فى

عصر التنوير الأوروبى، الذى تفجرت فيه أعمق أسئلة الوجود الإنسانى.. والعنفوان. الأمر إذن ببساطة: قل لى ماهو سؤالك أقل لك.. ماهو مصيرك؟.

وبسبب ما تقدم، حرصت على «التكويش» على الأسئلة الموجهة إلى د، رفعت السعيد والأستاذ عادل حسين، بعد فض مناظرتيهما فى الأسبوع الماضى، دون الإجابة عن الأسئلة، تحاشياً لتصعيد أجواء التوتر، والتى كانت رياحها قد أخذت فى الهبوب. تمكنت من كل الأسئلة إلا قليلا كان فى يد الأستاذ عادل حسين، وكان علىّ أن أترك علاقتى الخاصة فى حياتى بالسؤال، وأن أمنح الأسئلة الحق فى التنفس.. وفى الحياة التى حُرمتها وقت المناظرة، وأيضاً أن أمنح من يشاء حق معايشتها والحكم عليها وعلى نفسه وزمنه.

الحسم

٧١ سؤالاً، تعيد - كرقم - إلى الأذهان عام «الحسم» الذى لم يحسم كما هو معروف. أسئلة منها بالبسملة وبدون بالوضوح وبدون. ساذجة وماكرة. ذكية ومتذاكية لئيمة وطيبه مغتاظة وأخرى تكظم غيظها بالدعاء الذى يشبه دعاء الأمهات فى الأرياف: «ربنا يولى من يصلح ويهدى الجميع»، أسئلة بالسماحة (أغلبية) وبدون بالقلق والبركة، بالبراءة وبالاصطناع. أسئلة موقعة وأخرى بدون. فى خانة المهنة ضابط ومهندس وصحفى ودكتور جامعى وطالب وزراعى و«غير إخوانى»! ومستقل. أسئلة حضرت وكأنما لتطرح التذكير بما لم يحضر فمثلاً لم يكن هناك أى سؤال حول الوضع فى السودان، رغم كثرة من حضر من السودانيين وخطورة مايحدث فى السودان وأهمية ما أثير حوله فى الحوار المناظرة. وغابت أيضاً الأسئلة التى ربما بدا «الشر» لأصحابها أجدى بمعنى

أنهم رأوا أن الكز على الأسنان وطق الشرار من العينين والنفخ الغاضب وعض الشفايف والارتعاش كل ذلك لاشيء يمكن أن ينفثه ألم تكن هذه حالة الشاب الذى جلس فى الصف الأول مستنفراً للغاية ولسان حاله يقول: يا رب خلصنا من الراجل ده (د. رفعت)!

لقد غابت أيضاً أسئلة الدراويش رغم أن أحدهم جلس بجوار مدخل القاعة قبل بدء المناظرة، وهو يرتل الأذكار والأدعية، طالباً أن ينصر الله الأستاذ عادل على خصومه (هل اعتبرهم خصوم الإسلام؟) وحضرت بعض أسئلة نرجسية، أو باردة، أو مدعاه، وبعضها مسكون بالهم والقلق. ولأن الليلة التالية كانت ليلة القدر، فلم يكن أمام الإنسان سوى أن يدعو يارب اجعلها عمرانة بالقلق والأسئلة، حتى لايُعمّر خرابها الجواب الوحيد: جواب الركود والاستهلاك والعصبية والتخلف والخوف من العلم والتحدى.

الصعب والحداد

أصعب «الأسئلة»، ذلك الذى وجه إلى الاثنين، من مجهول، يدعو، بعد مساء الخير، إلى الوقوف دقيقة حداداً على روح شهيد الإرهاب والتطرف للإسلام السياسى.، د. فرج فودة، أول من طلب المناظرة مع هذا التيار. ولنا أن نتخيل ماذا كان سيحدث فى القاعة لو قرىء السؤال. وإذ نتذكر مناظرة معرض الكتاب الشهيرة، التى راح ضحيتها د.فودة فإن سؤالا آخر، يعيدنا إليها من باب ثان إذ يقول للدكتور رفعت إن كل ما قلته بلا مصادر أو أسانيد (مع أن الدكتور كان يذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة فى أغلب الحالات)

ويسأله السائل أنس أحمد منصور: هل تستمد كلامك من ألف ليلة وليلة؟ وهى ذات العبارة المبتذلة التى قالها د. محمد عمارة لفرج فودة فى المناظرة إياها.

وكان هناك أكثر من سؤال للدكتور رفعت حول موقف حلف الناتو وإسرائيل من الأصولية، غير أن المرء لم يكن ليصدق أن يأتى السؤال من د. عصمت زين الدين الأستاذ بهندسة الإسكندرية على النحو «المبسط» التالى: الاختيار الآن بين المشروع الإسلامى والمشروع الإسرائيلى فما هو اختيارك يا دكتور؟ وقبله كان السؤال من د. عصمت أيضاً حول التقاط د. رفعت لشتات القصص والأفكار للهجوم على التيار الإسلامى وبنفس الصيغة بالضبط جاء سؤال الصحفى أحمد السيوفى (الشعب) حيث يسأل د. رفعت هل التطبيع مع التيار الإسلامى فى مواجهة الصهاينة أم أن الأرضية تصلح للتطبيع مع الصهاينة ولاتصلح للتطبيع مع الإسلاميين؟. هل هذا كلام يا صديق؟

ويطلب الكثيرون (دقيقتين) للتعليق، بحمية، حتى فى وسط حديث المتحدثين، ناسين أنه لو سمح لكل من طلب التعليق بذلك، لاقتضى الأمر المبيت ثلاث ليال، وأن من المفترض أن كل متحدث فيه الكفاية ليعبر عن التيار الذى يمثله. وعلى كل فالمرء بحاجة فعلاً لأن يسمع إلى د. عبد الحميد الغزالى (الأستاذ بكلية الاقتصاد بالقاهرة). وذلك الذى وقع باسم طارق وكتب مايلى: ليس مهماً عنوان المشروع الحضارى فقد يكون العنوان علمانياً والجوهر إسلامياً، أريد التعليق. أيضاً طلب التعليق على الندوة من منظور «التطبيق» المعاصر د. عبد المحسن حمودة وهو من خُبر التيار الإسلامى فى نقابة المهندسين. وقد يكون د. عبد المحسن هو أيضاً صاحب السؤال الموجه

إلى عادل حسين عن رأيه فى موقف النحاس من أحمد حسين حين صدَّر الأخير بياناً انتخابياً باسم الله؟ وقد يكون السائل.

التجمع - الأهالى - التعذيب

دارت أسئلة كثيرة حول مايعتبره أصحابها تراجعاً من التجمع و«الأهالى» فى موقفهما من التعذيب ومن مسألة حق كل القوى فى أن تعبر عن نفسها ومن «الإسلاميين» اشتط البعض فقال إن التجمع (ودكتور رفعت) يحاول أن يبرر اتهاماً يملأ صدره ضد النهضة الإسلامية، متعاوناً بذلك مع أعداء الأمة، ودافعاً بنا إلى الهاوية لأنه أعمى البصر، ولديه حقد شخصي قديم.

وطرح آخر سؤاله بهدوء: فى هذه القاعة عام ٨١ حضر د. محمود القاضى والمرحوم عبد العزيز الشوربجى وإبراهيم شكرى وخالد محيى الدين، وأيد د. رفعت وقتها حق كل القوى فى تشكيل أحزابها فلماذا غير الدكتور موقفه؟

(بالمناسبة لم يحدث أن تقدم الإخوان بطلب لإنشاء حزب أبداً وهذا شيئ له معناه).

وتساءل ثالث: كانت «الأهالى» أقوى صحف المعارضة قبل أن يدخل التجمع البرلمان، ثم هدأت. والآن فإن الشعب هى الأكثر قوة لأن العمل خارج البرلمان متى تستمر الصحف على موقف واحد؟ التوقيع مهندس رجائى محمد فايد وأضاف: وضد موقف التجمع من قبوله التنكيل بالإسلاميين؟ وسؤال آخر: أيد التجمع «ثورة مصر» فلماذا يرفض عمليات حماس والجهاد ضد الإسرائيليين. ولا أريد أن أطفىء سؤال القارىء ولكن أنبه فقط إلى أن التأييد

ليس هو التغطية الواسعة فى «الأهالى» فالموقف الرسمى للحزب له تعبيراته المحددة.

ويسأل خالد أحمد فهيم عن العلاقة بين اليهود واليسار، من ماركس إلى كورييل، وبين موقف التجمع من الصلح مع إسرائيل. وطبعاً من حق أى إنسان أن يسأل ما يشاء ولست فى موقع المسئولية الحزبية الذى يجعلنى أرد ولكن لدى ثمة رغبة فى القول: ده كلام يا راجل خليت إيه للدكتور مصطفى محمود ؟

ويكسب د. رفعت السعيد صديقاً صعباً.. إنه ذلك الذى كتب يقول: كنت أبغضك جداً قبل ذلك لكننى مستعد للتحاور معك بعد اليوم إذا كنت تؤمن حقاً بما تقول؟ ويلمز آخرون حيث يقول سائل: أقرأ لك (د. رفعت) وأعجب بما تكتب. لكن أدهشنى موقفك من الحملة على الكنيسة. هناك تفسير «مش حلو» ما رأيك؟. ويدعوه آخر إلى المناظرة ويتحداه أن يذكر أمام الحاضرين نواقض الوضوء! ويطرح الحاضرون أكثر من سؤال بصيغ طيبة مثلاً: إذا كنت ترى يا دكتور أن الدين كلى الصحة فكيف نستفيد منه ونوظفه وما هو النموذج الأمثل؟ لكن الشطط أيضاً قائم، فهذا يسأل: هل تريدنا أن نحل الأزهر ونسَرح علماء، وتبقى أنت لتنطلق مما يخالف الأديان بعامة والإسلام بخاصة؟. وأكثر من سؤال معاتب للدكتور رفعت لأنه أعلن فى البداية أننا لسنا بصدد مناظرة أو مشاجرة ثم حاد عن ذلك. كان فى القاعة جمهور طيب كثير جمهور لم يألف فكرة الصراع، ويحب النهايات الجميلة والتعميم وأظن أن أصحاب هذه الأسئلة كانوا يودون أن تنتهى الندوة وقد وقف رفعت السعيد وعادل حسين متشابكى الأيدى وهما يقولان انهما سيعملان معاً من أجل مصر والأمة. أكثر من «سامحك الله» أيضاً فى أكثر من سؤال للدكتور رفعت لأنها تعتبر أن كل

ما قاله حجة على أصحابه وليس حجة على الإسلام. ووفق هذا المنطلق فإن ماسيقوله السائلون دفاعاً عن الإسلام هو حجة لهم وليست للإسلام لإن الإسلام غني بذاته عن الحجج. كلمات أخرى شاطحة مثل: ماسر عدائكم لكل ماهو إسلامي.. سر عدائكم للإخوان.. هل تكيلون بكيلين «زى أمريكا»؟ ويوجه العقيد متقاعد محمد بدر عضو اللجنة التنفيذية لحزب العمل رجاء بأن يستمر اليسار في معاداته لأمريكا، مثلما كان يعاديها أيام كانت تعادي المعسكر الاشتراكي. ومن ثم يصادق التيار الإسلامي لأن عدو عدوى هو صديقي ويعتبر العقيد أن الحوار هو الحل الوحيد لأزمة مصر، وأن الطائفية لاجذور لها في مصر مقللاً من شأن اهتمام د. رفعت بها.

أسئلة أخرى تعتبر أن ما أخذه د. رفعت على التيار الإسلامي بشأن الديمقراطية يؤخذ على التيار الماركسي وبالمناسبة أعلن د. رفعت أن اليسار كان يدعو للعنف في الأربعينيات نعم لكنه يدين أي ممارسات إرهابية الآن، حدثت أو ستحدث ويعيد قراءة واقعه وأفكاره وتاريخه ودعا لأن يفعل الإخوان ذلك. وللعلم كان اليسار في مصر «بتاع كلام» لكنه لم يمارس العنف لاضد الإخوان ولا الحكومة ويطلب سائل من الدكتور أن يقرأ ريتشارد ميتشيل حتى يكف عن تحيزه ضد الإسلاميين. كما يدعوه ثان إلى ألا ينتقى ويسأله ثالث هل تصلي وما هي شروط لا إله إلا الله ويقول له: «اقرأ الإسلام أيديولوجية المستقبل» ففيه ما يؤكد أن الخلافة هي شكل الحكومة (أليس في غيره ما يؤكد العكس؟) ثمة سؤال مسترخ وساخر ومختزل: د. رفعت بعد كل ما قلت ما هي ضرورة الإسلام لنا وشكراً؟.. وآخر مستنفر: هل كنت تريد الحوار (علامتان للتعجب) هل كنت تريد إنقاذ الأمة (علامتان للتعجب). ويسأل

محمد محمود الفقى عضو نقابة الزراعيين على مستوى الجمهورية: هل الإرهاب ظاهرة دينية أم اجتماعية سياسية تكرسها البيئة والمناخ وواضح أن السائل مطلع على الحوار الذى يدور كل يوم فى التجمع حول نصيب ما هو اجتماعى وما هو «فكرى دينى سياسى فى تسبيب الإرهاب وإلى د. رفعت أيضاً سؤال تكرر وهذه أوضح صياغاتة كل التقارير الداخلية والخارجية تؤكد أن المسلمين قادمون فلماذا لاتتفاهم على أسلوب الحكم الإسلامى بدلاً من نفيه؟. إن الأسئلة ببساطة تكاد تقول: مادام دى الموجه اللى جاية ما تدخلها يا راجل يا طيب وريّح نفسك؟. ولاتعليق. وعلى فكرة من طرح السؤال وصف نفسه بأنه غير إخوانى وأنه مثقف وأن ما يقدمه «مجرد رؤية». ومن الأسئلة المصيدة: دكتور رفعت ألا تعتقد أن أيات الرق فى القرآن فات أوانها؟ وآخر تهكم (بالمناسبة كان مما يغيظ كثيرين أن د. رفعت يتهكم أحياناً على خصومه حتى قلت لأحدهم إن التهكم فن وليتك تجيده أو تقبله وإلا ماذا لو رسم أحدنا صورة كاريكاتورية للخليفة فى ظل الحكم «الإسلامى»؟) يقول المتهكم: تتحدث يادكتور ككهل بلغ من العمر أرذله، يشاهد مباراة وينتقد... ماذا فعلتم أنتم؟.

مكونات الوطنية

لم يكن ثمة أسئلة «فيما حصلنا عليه» تشعر أنها «تجمعية» إلا القليل ومنها ذلك السؤال المحدد: الأستاذ عادل حسين هل من التعددية فى الاجتهادات ترويع الآمنين وقتل الأطفال وتصفية المختلفين وتدمير المنشآت

وتكفير المعارضين والمجتمع وهل الجماهير توافق على ذلك؟ والإشارة هنا إلى قول عادل حسين بأن الأمة كلها تؤيد التيار الإسلامى. غير أن سؤالاً آخر واعياً ومثيراً من حقه أن يلقى إجابة سأل الزميل حمدى حسين: دافع المثقفون فى معرض الكتاب عنك يا أستاذ عادل ونسوا للأسف العمال المعتقلين بتهم ملفقة والآن ما رأيك فى قيام حزب سياسى للطبقة العاملة يرى أن الاشتراكية هى الطريق للعدالة والحرية والديمقراطية لكل الشعب؟ وسؤال إلى د. رفعت أظن أنه ضل الطريق حيث يقول: هل هناك فارق بين المعتدل والمتطرف أم أن الأمر توزيع أدوار بين رفاق الطريق؟ ومثله ما الفرق بين الفكر المتستر بالدين والفاشية؟.

لكن أجمل الأسئلة كان من صنع الشعراء. فسمير عبد الباقى يقول لعادل حسين فى مودة: عزيزى ليس الخلاف مع الإسلام، ولكن وجداننا الوطنى المصرى أكثر عمقاً تاريخياً وأرحب والإسلام فى مصر كالمسيحية، كان مصريا... إن الخلاف هو فى اعتبار الإسلام وحده الجذور والأصول للوطنية المصرية.

الطريف أن السؤال مكتوب على ورقة من أجندة تحمل فى ركن مواقيت الصلاة. والتاريخ الأحد ١٠ ديسمبر ٣٠ هاتور ١٧ رجب.

ويغذى سؤال مموه التوجه (إلى حزب العمل) الأستاذ عادل بإجابات عن أشياء طرحها د. رفعت فيقول له: إنك ترد على الشيخ الغزالى فى كذا مع أن الموضوع كذا وترد على فتوى عدم بناء الكنائس ألم تقرأ اتفاقية سيدنا عمر مع النصارى عندما دخل البلاد وضمها للإسلام إن كنت ممن يفقهون؟!

ومن عضو بحزب العمل للأستاذ عادل: حينما حزت سلطة فى حزب العمل وقفت بجانب الأستاذ إبراهيم شكرى فى انتخابات الحزب عام ١٩٨٩، حينما أعلن أنه سيستقيل إذا نجح العلمانيون والدينيون فهل هذا هو الإيمان بالتعددية؟ (توقيع أحمد محمود قناوى) وآخر من ذات الحزب يسأل ما هى الآليات التى وضعها حزب العمل نفسه لضمان التعددية وضمان تحييد من لايؤمنون بها فى الحزب؟. وثالث مجهل يدعو الأستاذ عادل إلى مناظرة علنية. بالطبع كان هناك أسئلة أخرى من حزب العمل فالدكتور عبد السلام نجم يقول: هل الأهالى صحيفة معارضة أم موافقة؟ وهناك: لماذا يتعب حزب العمل نفسه فى السعى إلى جبهة وطنية مع أن اليسار كله تقريباً يرفض العمل مع التيار الإسلامى (صاحب هذا السؤال اعتبر أن المطروح على اليسار هو التحالف مع السلطة أو مع التيار الإسلامى) وسؤال فى المسألة القبطية: هل مقولة إن الإسلام هو التاريخ المشترك لعنصرى الأمة ولم يكمل صاحب السؤال جملته وألحق به: وهل تم تدوين تاريخ الأقباط بأمانة وما موقعه وإلى أى حد تضع فى الاعتبار اختلاف الثقافة ورأى الأقباط؟.

وعدة أسئلة تفصيلية عن كيفية تحقق النهضة الإسلامية فى ظل شروط العصر. ونجدة أخرى للأستاذ عادل ليرد بها على د. رفعت بشأن ما قاله عمر عبد الرحمن عن الإمامة والقريشيين. وسؤال هو رجاء حار بمنع التدخين وشكراً وأخيراً سؤالان مفتوحان. الأول اعتبر أن المتحدثين لم يأتيا بجديد ويطلب رأى د. رفعت كمؤرخ. والثانى من طالب بكلية الاقتصاد أظن أنى أعرفه جيداً من لغته فقد شاهدته فى عدة ندوات، يقول السائل (أكرم...) إن د. رفعت بدا متفوقاً والأستاذ عادل بدا وكأنه لايلعب على ملعبه وأن لعب فبغير حرفنة. غير

أن النقطة الأساسية التى غابت عن الاثنين هى أن النظام العالمى الجديد يتجه بكل وضوح إلى الأمركة ولابد من تيار إسلامى نتفق أو نختلف معه، لكن هذا أهون علينا وأشرف لنا من الاستسلام للحضارة الغربية بكل معطياتها. وقد ذكرتنى كل معطياتها هذه برجل من جمعية الإعجاز العلمى المتسعودة قام ليقول للدكتور سمير حنا صادق إثر محاضرة له عن العلم: أختلف معك فى كل حرف قلته. فرد د.. سمير: طيب أنا قلت فى البداية صباح الخير فهل تختلف معها ؟ سكت الرجل وإن كان لاح لى أن فى ذهنه طيف رفض يقول: إيوه.. لازم تقول السلام عليكم!! وإلا سأرد بـ بنچور بتاعة عمر عبد الكافى.

آراء وتعليقات

«هذه الآراء تعبر عن وجهة نظر أصحابها، ولاتعكس بالضرورة وجهة نظر كتاب الأهالى»

تعليقــات:

محمد سعيد العشماوى

خليل عبد الكريم

نصر حامد أبو زيد

مجدى قرقر

صلاح عدلى

المستشار محمد سعيد العشماوى

تعقيب على المناظرة

منذ ظهرت جماعة الإخوان المسلمين على ساحة العمل فى مصر (سنة ١٩٢٨) ، وحتى الآن لم تقدم فقها سديدا ولا فكرا سليما ، وإنما أحدثت ، ومازالت تحدث ، اضطرابات شديدة فى العمل السياسى وفى العمل الدينى سواء بسواء ، بدأ بمصر ثم انداح إلى العالم الإسلامى ثم انساح فى شتى أنحاء العالم، نتيجة لعوامل محلية وإقليمية وأجنبية ودولية، حتى ألحق بالإسلام أذى شديدا ، كما وضع المسلمين في وضع حرج للغاية ، وأصبح المخرج عسيرا والمنقذ صعبا.

(أ) فقد خلطوا الدين بالسياسة ، ومن ثم حولوه إلى أيديولوجيا سياسية ، فالقيم والأخلاقيات الدينية ، إذا ما أدخلت على العمل السياسى رفعت من شأنه ، وحدت من تدنيه. أما استغلال الدين لأغراض سياسية و لأهداف حزبية ، فهو يحوله إلى أيديولوجيا سياسية شمولية كهنوتية ، أعتى من النظام النازى وأقسى من الجهاز الفاشى . بذلك نشأ ما يسمى بالإسلام السياسى ، على حساب الإسلام دينا ، وصار المفهوم الإسلامى سياسة فى الأصل ، وتحزبا فى

الأساس ، وتقلبا فى العمل ، وتدنيا فى الوسائل ، وعنفا فى الخلق وإرهابا فى التصرف.

وأثر استخدام الدين فى السياسة على العمل السياسى ، فى مصر ، ثم فى غيرها ، فنزعت الأحزاب السياسية منازع أيديولوجية ، أو خلطت بأدائها اتجاهات شمولية أو سقطت فى وهاد الجدال الفارغ العقيم والصراع الحر الأليم مع شعارات ذات صبغة دينية بغير حق، ولافتات تتخفى وراء الشريعة دون أساس، وهتافات تزعم نصرة الدين وهى تشوهه ، وتدخل به فى ساحات من الأغراض الشخصية ، ومتاهات من التدنيات الحزبية.

وأثر إعلاء السياسة على أى عمل دينى على تلك الجمعيات والهيئات التى اختارت العمل الاجتماعى والمنهج الأخلاقى والأسلوب التربوى سبيلا لها وغاية ، فهذه الجمعيات والهيئات التى أنشأت المدارس وبنت المساجد وأقامت الأندية وبذرت الأخلاقيات وركزت على التربية فرفعت من شأن الإسلام وسمت بشئون المسلمين، أصبحت تعد قاصرة ، تتهم بالعجز لأنها لاترتكز على السياسة ، وتوصف بكل نقيصة لأنها لاتتخذ الحزبية سبيلا لها وغاية ، بهذا تخلخل العمل الاجتماعى فى الإسلام ، وتقلقل المنهج الأخلاقى بين الفرق الأيديولوجية ، وغاب الأسلوب التربوى الصحيح من ساحة العمل الإسلامى الذى انقلب إلى السياسة وانحدر إلى التخريب ووقف نشاطه على ذلك ، وسخر أى نشاط آخر لخدمة هذه الأهداف ، فصار الإسلام سياسة فى سياسة ، وتحزبا بعد تحزب ، وغرب العمل الاجتماعى الخالص والمنهج الأخلاقى القويم والأسلوب التربوى الراقى.

(ب) وقد اتخذت هذه الجماعة فى مؤتمرها الخامس (سنة ١٩٣٧) قرارا بأنها جماعة المسلمين وليست جماعة من المسلمين . وبهذا تكون قد خالفت الإسلام وجانبت الشريعة حيث يعد كل من نطق بالشهادة مسلما، وقصرت الإسلام على أعضائها وتابعيها ، وأخرجت منه كل مسلم آخر، فحكمت على ملايين المسلمين بالكفر والإلحاد والخروج من الملة ، مع أنه من أكبر الكبائر أن يُرمى مسلم واحد – نطق بالشهادتين – بشىء من ذلك.

ونتيجة للمطابقة بينها وبين الإسلام، وقصر وصف المسلمين على أعضائها وتابعيها ، أنها نفت أى صيغة أخرى للإسلام وأى فهم مغاير للشريعة، كما اعتبرت المسلمين من غير جماعتها علمانيين وهو وصف مستتر للكفر والإلحاد . فالجماعة وحدها هى الإسلام ، ومن لم يكن عضوا فيها فهو كافر ملحد.

ومع الإلحاح على هذه الصيغة، ونشرها فى مصر ، ثم فى المنطقة ، ثم فى العالم الإسلامى ، ثم فى العالم أجمع ، نتيجة تشجيع بعض الدول وبعض أجهزة المخابرات ، فقد أصبح العالم لايعرف من الإسلام إلا صيغته السياسية ، ولايرى من الإسلام إلا مدلوله الايديولوجى، وبهذا ربط الناس فى شتى أنحاء المعمورة بين هذه الصيغة السياسية الأيديولوجية وبين الصيغ المشابهة لها، والمعاصرة لنشأتها ، كالفاشية والنازية والماركسية ، واعتبروها خطرا على الحضارة والإنسانية والعالم، خاصة مع تزايد أعمال العنف والإرهاب ، وانتشاره فى مناح متعددة من العالم ، والتهديد به دوما والتلويح به فى كل حين.

ولم ينتبه العالم ، بصورة واضحة حتى الآن، إلى وجود صيغة أرقى للإسلام وفهم أدق للشريعة ، ذلك الذى يقدمه الإسلام المستنير ويرفع لواءه دعاة الاستنارة وحماة الحرية (الليبرالية) ، لأن الأثر الذى يحدثه تفجير مبنى أقوى بكثير من الأثر الذى تحدثه عشرات الكتب، ولأن النتيجة التى تنشأ من خطف الأبرياء، وقتل الآمنين أسرع انتشارا وأشد وقعا من الأفكار التى تؤثر ببطء وتفعل بهدوء.

ولأن أهداف الجماعة السياسة طموحة (بل وخرافية مستحيلة)، إذ هم يؤملون فى قلب نظام الحكم فى مصر ، ثم قلب نظم الحكم فى المنطقة العربية بأكملها ، ثم قلب نظم الحكم فى العالم الإسلامى بأسره، ثم السيطرة على مقدرات العالم وحكم كافة البلاد من خلال ما يزعمون أنه الإسلام ، وهو فى الحقيقة والواقع، أيديولوجيا سياسية، ليست هى الإسلام وليست هى الشريعة، لأن أهدافهم هى هذه الأهداف البعيدة المستحيلة ، فإنهم يتخذون فى سبيلها ما يسمى بالتقية ، وهى فى الحقيقة ضرب من النفاق ، فلا يعلنون أهدافهم ولايذكرون أغراضهم ولايسفرون عن سبلهم، بل إنهم يتخذون مستويين للحديث، فيظهرون غير ما يبطنون ، ويعلنون غير ما يقصدون ، ويدعون غير ما يعملون، فيقول قائلهم فى مصر غير ما يقوله فى دول الخليج ، ويحدثون الأجانب بغير ما يحدثون به أعضاءهم وتباعهم ، ويظهرون بوعيين ويتكلمون بلسانين ويتحدثون بلهجتين وبذلك جعلوا من النفاق أسلوبا للعمل الإسلامى - حاشا ما يأفكون - بل للأيديولوجيا الإسلامية ونتيجة لقصرهم الإسلام ، فى مجموعتهم ، ووصم كافة المسلمين فى شتى أنحاء العالم بالكفر والإلحاد والخروج من الملة ، فقد قصروا النظام الأخلاقى - إن كان ما لديهم يسمى

أخلاقاً - على جماعتهم فقط ، وبذا أصبحوا - وأصبح جميع أفرادهم - مذبذبين - مبتوري الضمير مشوهي الخلق - يستحلون مع من لم يكن منهم أي أسلوب في العمل يعتقدون أنه أفعل وأنفع فيكذبون ويموهون ويكيدون وينقلبون ويعنفون، ويستحلون دماء الجميع وأموالهم وأعراضهم، وهي السلوكيات التي وضحت بجلاء لدى الجماعات التي انسخلت منهم وانفصلت عنهم، وصارت تعتقد فيما يسمى باستحلال دماء وأعراض وأموال أي مسلم من غير جماعتهم ، وبالطبع من لم يكن مسلما كذلك، وقد شرح هذا الأمر بوضوح أحد التائبين من هذه الجماعات والعادلين عن منهجها اللا إنساني واللا أخلاقي والدعارة باسم الدين وباستغلال الشريعة.

(جـ) وهم يطلقون شعارات دينية ، تمويها وتضليلا ، وغشا وخداعا ، من ذلك شعار "تطبيق الشريعة" و الذي يهدفون من ورائه إلى جذب مشاعر الناس، وإرباك الحكومات ، وتقويض النظم القانونية السائدة ، وتهديد احترام الناس للقانون . ورغم مرور أكثر من نصف قرن على بداية حركتهم فإنهم لم يقدموا دراسات علمية مستفيضة للمقصود من الشريعة، لفظا وحكما. ذلك بأن الشريعة لاتعني في القرآن الكريم النظام القانوني، لكنها تفيد معنى الطريق أو السبيل أو المنهج أو ما شابه وطريق الإسلام إلى الله يتحدد بثلاثة مسارات : العبادات ،و والأخلاقيات ، والمبادىء القانونية . ورغم ذلك فقد قصروا الشريعة على المبادىء القانونية فقط ، وهذه المبادىء تقع في ٨٠ آية من آيات القرآن الكريم (ومع التجاوز ففي ٢٠٠ آية) من مجموع آيات القرآن البالغ عددها ٦٠٠٠ آية (أي بنسبة ١: ٧٥ أو مع التجاوز ١ : ٣٠) . وتنظم هذه

المبادىء قواعد الأحوال الشخصية، أى الزواج والطلاق والوصية ، وبها حكم واحد عن إثبات الديون ، وأربع عقوبات (حدود) هى حد السرقة ، وحد قذف المحصنات ، وحد الزنا، وحد الحرابة، وباقى النظام القانونى فى الإسلام من عمل الفقراء. أى أنه من عمل الناس غير مقدس ولامعصوم، ويطلق عليه خطأ لفظ الشريعة.وكل أحكام الشريعة القانونية) الواردة فى القرآن الكريم مطبقة فى مصر، عدا العقوبات الأربع المنوه عنها والتى يلزم تطبيقها تحقيق العدالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، حتى لاتطبق أحكام شرعية لأغراض غير شرعية . فالإسلام عدالة قبل أن يكون عقوبة.

وعندما ذكرنا ذلك سنة ١٩٧٩ لم تناقش جماعة الإخوان المسلمين المسألة بعلم ودراسة وإنما انطلقت تحاربنا وتشوه من آرائنا وتسفه من فكرنا وتهددنا بالقتل والاغتيال .. ذلك لأنها جماعة لاتسعى إلى الحق ولاتقبل المنطق ، ولكن تهدف إلى الإثارة وتحقق أهدافها بالإرهاب ، وقد سكتوا ولم يردوا على السيد رئيس الجمهورية عندما ذكر أكثر من مرة أن القانون المصرى لايبعد عن أحكام الشريعة الإسلامية التى تطبق فى مصر فعلا، ولا ردوا على فضيلة شيخ الأزهر حين أكد أن القوانين التى تطبقها مصر تجرى فى نطاق الإسلام (جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٢/٢١، صفحة ١٠)، ولا ردوا على الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى قال "لو نظرنا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصروجدناها مطبقة إلا فى الحدود" جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٣/١ صفحة ١٠).

لقد اختزلوا كل الشريعة فى العقوبات ، واختصروا العقوبات فى عقوبة ضد السرقة دون تحديد لماهيتها وشروطها ، فجعلوا من الإسلام عقوبة والأصل أنه

عدالة، وللتمويه والتضليل فقد علا صوت جهير من دعائييهم يردد مقولتنا فيعلن أن "العدل قبل الحد" . فأين هو العدل الذى غاب عنهم ، وما هى البرامج المفصلة الوافية لتحقيق العدالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟ وهل يجوز أن تقوم جماعة تدعى أنها تحيى الإسلام دون أن تدعو وتعمل على تحقيق شامل متكامل للعدالة فى المجتمع وفى العالم؟ أم أنه العمل الدعائى والأسلوب الغوغائى النهج الديماجوجى للأيديولوجية الشمولية التى ترفع الشعار تلو الشعار وهى لاتدرى من أمرها تقول شيئا!؟

(د) وقد قامت الجماعة ، منذ بدايتها ، على رفع لافتة "حاكمية الله". وهو نفس قول الخوارج ، ورددت فى ذلك الآية الكريمة "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (سورة المائدة :٤٤) ، مع أن الآية لاتعنى إطلاقا ما تقصده الجماعة ، ولا ماقصده الخوارج، لكنها تتعلق بواقعة محددة لم يطبق فيها يهود المدينة حكم التوراة، ولذلك فإنه يسبق هذه الآية آية أخرى توضح ذلك، يسقطونها عن عمد ويغفلونها عن قصد "وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله.. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون". إن الجماعة تقصد بدعوى الحاكمية أنه ليس للناس أى حق فى الحكم والتشريع ، فذلك حق الله ينفذونه هم باسمه.

وأخيرا ، وفى شهر سبتمبر ١٩٩٤ ، صدر عن المركز الإسلامى للدراسات والبحوث التابع للإخوان المسلمين بيان جاء فيه - بصدد تعدد الأحزاب : "الأمة مصدر السلطات" و"أن الأمة لابد وأن يكون لها دستور مكتوب ، تضعه وتتفق عليه ، تأخذه من نصوص الشريعة الغراء .. يجعل الحكم شورى

استمداداً من سلطة الأمة ويحدد مسئولية الحكام أمام الشعب .. وهذا يقتضى وجود مجلس نيابى له سطات تشريعية ورقابية ذات فعالية تتمثل فيه الإرادة الشعبية الحقيقية".

وهكذا انقلبت الجماعة على مبادئها، بل علىٰ أهم هذه المبادىء ، وطفقت تدعى أنها تؤمن بأن السيادة للشعب والسلطان لمجلس نيابى . فإن تكن صادقة فيما تقول وتدعى فعليها أن تعلن بكل قوة وكل شجاعة أنها كانت ضالة ومضللة طوال السنوات الماضية (منذ سنة ١٩٢٨) وأنها سيرت الناس بشعار باطل وأشاعت الإرهاب بمقولة فاسدة. أما إن كانت تدعى ذلك من قبيل التقية حتى تصل إلى الحكم ، فإنه يكون أمرا خطيرا يبين ما تقوم عليه الجماعة من عبثية وانتهازية وضلالية وإذا كانت القاعدة الذهبية فى السياسية أن الغاية تبرر الوسيلة ، فإنه لمن الإساءة للدين والإهانة للشريعة، أن يستخدم الدين وسيلة إلى الحكم بأى سبيل ، وأن تستغل الشريعة وسيطا إلى المال من أى جانب.

فإن كانت جماعة الإخوان المسلمين جادة فى العدول عن أهم مبادئها وأعلى شعاراتها وهو "حاكمية الله" إلى المبدأ المدنى (الذى تصفه خطأ بأنه مبدأ علمانى) والذى يرى أن الحكم للشعب والسيادة للأمة، إذا كانت جادة فى ذلك فلماذا لم تقدم صيغة للدستور (الوضعى!!) الذى تقترحه حتى يرى الجميع مدى التزامها بما تدعيه ، وحتى تستبين آراؤها الحقيقية فى سلطان الشعب وسيادة الأمة والحقوق السياسية لغير المسلمين؟ ولماذا لاتنشر دعاواها الجديدة خارج مصر!؟ ولماذا لاتقول رأيها فى مدى تحقيق ذلك فى الحكم (المسمى بالإسلامى) فى إيران وفى السودان!.

(هـ) وواقعات التاريخ الثابتة تقطع بأن جماعة الإخوان المسلمين لم تحارب الاستعمار قط ولم تقف أمام طغيان القصر الملكى (ثم تآمرت عليه)، وازدهرت بمعاونة أحزاب الأقلية . كل ذلك لكى تضر الحركة الوطنية ، وتشتت كفاح الشعب ، وتقوض فكرة الوطنية ، و مبدأ المواطنة. وكتب التاريخ حافلة بتصرفاتها فى هذا ، ومن هذه الكتب كتاب "الحصاد المر" الصادر عن الجماعة الإسلامية والذى يوثق نقائض الإخوان المسلمين ويدلل على نقائص هذه الجماعة.

أما تعاونها مع أجهزة المخابرات العالمية، وخاصة جهاز المخابرات الأمريكية (C.I.A) وجهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) ، وكلاهما - بالمناسبة - يعملان معا ، هذا التعاون قد أصبح فى غير حاجة إلى بيان بعد أن استفاضت فى دلائله كثير من الصحف والكتب الأجنبية (ومنها كتاب أسير للخمينى HOstage to Khomeni) . فأجهزة المخابرات تلك، هى التى ضغطت على الحكومات لتترك جماعة الإخوان المسلمين تعمل بغير شرعية ، وهى التى أمدتها بالمعلومات والأموال والأماكن فى كافة بلاد العالم ، وهى التى سلمت لها دخول الولايات المتحدة ، والإقامة فيها ، والعمل بها ، وجمع التبرعات ، وقدمت لها مراكز للتدريب العسكرى كيما تستخدمها لضرب الماركسيين ، ولحرب الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان ، ولتهديد نظم الحكم فى البلاد الإسلامية.

وبهذه المعاونات الضخمة صارت الأيديولوجيا الإسلامية . حركة عالمية ، وأصبحت شعارات ومقولات جماعة الإخوان المسلمين هى السائدة بين

المسلمين فى شتى أنحاء العالم ، وهو أمر مقصود من أجهزة المخابرات لاستخدام الأيديولوجية فى تحقيق أهدافها ، ولضرب الإسلام من الداخل حيث يصبح الإسلام مرادفا للإرهاب ويصير المسلم عنوانا للإرهابى.

وإذا كانت قد حدثت خلافات بين الأيديولوجيا الإسلامية (وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين) وبين بعض البلاد الغربية ، فهو خلاف على المصالح وليس خلافا على المبادىء. وقد كان من نتيجته أن انقلبت الايديولوجيا الإسلامية (جماعة الإخوان المسلمين والجماعات التى انشقت عنها وصدرت منها على الولايات المتحدة أساساً ، ثم على فرنسا ، وأصبحت تستخدم وسائل الإرهاب التقنى الذى شجعوها عليه وعلموها وسائله لكى تهدد هذه البلاد وترهب الآمنيين والمسالمين من أبنائها.

(و) والعنف والإرهاب ، المعنوى والمادى ، أهم معالم جماعة الإخوان المسلمين ، وأظهر خيوط نسيجه الفكرى والعملى ، فقد بدأوا يعدون لذلك منذ البداية ، ثم شرعوا يعلمون الشباب المغرر به من أتباعهم ضرورة اللجوء إلى العنف والإرهاب لتحرير أرض مصرمن الاستعمار ، واختاروا شعارا لهم المصحف بين سيفين ، أى كتاب الله والحرب أو استخدام كتاب الله فى تبرير العنف والإرهاب ، ووضعوا تحت هذا الرسم ذى الدلالة البالغة تلك الآية الكريمة "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" (سورة الانفال ٨: ٦٠) ، وبتأويل فاسد وتفسير مغرض قالوا للشباب إنه ينبغى قتل العدو فى الداخل قبل التوجه إلى العدو فى الخارج، واعتبروا أن عدوهم هو عدو الله، وأن خصمهم هو خصم الجلالة،، وبذلك وجهوا بنادق

المسلمين إلى صدور المسلمين ، وحولوا عذاب المؤمنين إلى قلوب للمؤمنين . ولاغرو فى ذلك يتبعون خطى الخوارج خطوة خطوة، ويحذون حذوهم فى كل مفاهيمهم ومقولاتهم ، ومنها أن من لم يكن فيهم غير مسلم ولا مؤمن. وعللوا قتل الغير ، المسلم المؤمن، بأنه عدوهم وعدو الله، وزعموا زورا وبهتانا أن النبى محمد (صلعم) أمر بأن يقتل غيلة بعض أعدائه (وأعداء الله) ومنهم كعب بن الأشرف ، وأبو رافع سلام بن أبى الحقيق ، والشاعر أبو عفك والشاعرة عصماء بنت مروان – وفى ذلك قال قائلهم "إن القتل غيلة من شريعة الإسلام" ، وبهذا فقد جعلوا من الإسلام الرحيم السماح شريعة غدر واغتيال وإرهاب.

وانتقلت خصائص الإخوان المسلمين فى الغدر والاغتيال والإرهاب إلى كل جماعات الإسلام السياسى ، المنشقة عنها والناتجة منها ، بذات المفهوم ونفس الحجج . وأصبحت أمرا لصيقا بهم وخصيصة أساسية فيهم – ولأنهم انتشروا فى طول المعمورة وعرضها ، بتشجيع أجهزة المخابرات واستخدام أموال النفط وغير ذلك، فقد انتشر أسلوبهم وذاع وعم ، وأصبح الناس فى كل بلاد العالم يظنون خطأ أن هذا هو الإسلام ، لا الأيديولوجيا الإسلامية ، يساعدهم على هذا الفهم الخاطىء إصرار جماعات الإسلام السياسى أو الأيديولوجيا الإسلامية على أن ما يقدمونه هو صميم الإسلام وصحيح الشريعة، وأن كل قول غير قولهم علمانية (أى كفر) وكل شخص لا يؤكد مزاعمهم علمانى (أى كافر) . بهذا أساءوا إلى الإسلام أبلغ إساءة، ونفروا العالم من الإسلام والمسلمين ، وخلقوا جوا من العداء ضد المسلمين جميعا ، وأوجدوا اتجاها عالميا بعدم التعاطف مع الإسلام والمسلمين فى أى مكان ،

وهو ماظل أثره فى مسألة البوسنة - على سبيل المثال - ولاشك أن الأمور سوف تتفاقم والعداوة سوف تتزايد والمواجهة العالمية للمسلمين سوف تتكاتف ، مما يلحق بقضايا المسلمين، وببلادهم ، أبلغ الضرر.

وإذا كان الإخوان المسلمون يزعمون الآن أنهم نبذوا العنف والإرهاب فهذا غير حقيقى، ومجرد تقية منهم ، لاكتساب عطف الأجانب ورضاء الحكومة، ذلك أنهم مازالوا يحملون ويرددون كل التفسيرات المغرضة والتأويلات الفاسدة والتعليلات الخاطئة التى تسوغ العنف والإرهاب وتضفى عليه شرعية من القرآن الكريم وحجية من السنة النبوية . هذا فضلا عن أنهم اكتفوا الآن بلعب دور "المايسترو" الذى يحرك الجماعات الأخرى والشباب الغر المضلل لكى يمارسوا الأعمال القذرة بقتل الأبرياء، وترويع الآمنين ونشر الإرهاب، معتقدين (أى الإخوان) أن ذلك يجعلهم فى مأمن من المساءلة الجنائية ويبقى على قوتهم لتحكم بعد أن تؤدى أعمال القتل والترويع والإرهاب إلى زعزعة نظام الحكم وتمهيد الطريق لهم ليصلوا إليه. ونظرة إلى الجريدة التى تتحدث باسمهم تبين كيف أنهم يزاولون الإرهاب المعنوى على أعلى مستوى ، فيشيعون الرعب فى المجتمع بأسره، ويعمدون إلى محاولة اغتيال شخصية أى معارض لهم بتشويه أفكاره وتلويث سمعته، يستخدمون فى ذلك أقلاما مأجورة وأقوالا مسعورة. فهم لايعرفون نقاشا ولا جدالاً بالتى هى أحسن ، ولا نقدا نزيها ، ولا معارضة رشيدة. وأنى للإرهاب ألا يستخدم العنف المعنوى والكذب والتزوير والافتراء والادعاء؟

ولكن، هل يستوى المأجورون المغتنمون مع هؤلاء الذين يقولون الحق ورؤوسهم على أكف أيديهم ، يتوقعون الاغتيال فى أى لحظة ، ويتعرضون

للمخاطر دائماً أبدا ، لايستويان! لايستوى الأجير المغتنم ، الذى يقول لقاء عطية ، ويكتب مقابل رشوة ، مع الشريف الأمين الذى يقول الحق مهما تعرض للأذى، وينشر الحقيقة مهما تهدد بالاغتيال المادى أو المعنوى.

(ز) وجماعة الإخوان المسلمين محل مطاعن مالية وشكوك فى الذمة منذ أن بدأت ، وحتى الآن. فزملاء مرشدهم الأول الذين أسسوا معه الجماعة ابتداء جمعوا أدلة عن عبثه فى أموال الجماعة، خيانة للأمانة ، فأبلغوا ضده النيابة العامة، لكنه أسكتهم بالعنف وبالعدوان عليهم بالضرب وعندما قامت شركات توظيف الأموال التى عدها الإخوان المسلمون جناحهم الاقتصادى ومارست عملها بالنصب والاحتيال ، ومولت عمليات مشبوهة وتجارة محرمة ، وأشاعت السلوك الاستهلاكى فى المجتمع فلم تنتج بالأموال التى جمعتها ولم توجهها إلى التصنيع والاستثمار ، بل اتجهت بهذه الأموال إلى الاتجار فى السلع الاستهلاكية (كالسيارات واللحم والأثاث والذهب!!) ولم يكن هناك إلا مصنع أو اثنان، تبين فيما بعد أنهما أقيما بالمضاربة وتكاليف أكثر بكثير من تكلفتهم الفعلية واستخدمت هذه الشركات أموال المسلمين فى المضاربة (أى المقامرة) فى البورصات العالمية على المعادن والأوراق المالية، وكانوا (هم وأتباعهم، عندما يلامون على استخدام أموال المسلمين فى المقامرة، يردون بأن اليهود يفعلون ذلك وأنه لابد من منافستهم، فالمسألة ليست مبادىء أخلاقية أو قيماً دينية ، ولكنه عمل أى شىء واقتراف أى إثم . وتعليله وتبريره بحجج واهية بعيدة عن الدين وأسانيد باطلة نائية عن الشريعة. وقد ظلوا يضاربون (يقامرون) بأموال المسلمين حتى استدرجتهم بعض البيوت المالية

العالمية والحقت بهم خسائر فادحة كشفت عن جريرتهم وأسفرت عن حقيقتهم وذهبت أموال اليتامى والأرامل وأرباب المعاشات - الذين ضللتهم بطانة ممن يدعون أنهم علماء الإسلام وحماة الشريعة - سدى فى المقامرة وتعاطى المخدرات وبناء القصور وتعدد الزيجات ورشوة بعض ذوى النفوذ فيما يسمى بكشوف البركة . ومن أسف فإن هذه الشركات نحلت (اختلقت) حديثا عن النبى (صلعم) يقول يقول "لأن ينكح أحد أمه فى حجر الكعبة خير من أن يأخذ فوائد البنوك ومع أن الحديث واضح الانتحال ، إذ لم يكن فى عهد النبى (صلعم) نقد ولابنوك ، فإن أحدا من رجال الأزهر الشريف أو ممن يدعون الغيرة على الدين والحفاظ على الشريعة لم يرد عليهم. أبدا لم يرد عليهم أحد من هؤلاء ، بل سكتوا عن النحل الحرام لكى يستفيدوا بالمال الحرام!

ولم يعرف عن جماعة الإخوان المسلمين - أبدا - وجود ميزانية لهم تتبين فيها حقيقة الموارد وحقيقة المصارف. فتصرفاتهم المالية سرية دائماً، كأجهزتهم السرية كذلك. وفى السرية يمكن إخفاء الحرام والرشوة والفساد والاختلاس.

وها هى كل النقابات التى يسيطر على مجالس إدارتها أفراد من جماعة الإخوان المسلمين تسفر عن انحرافات مالية ، ورشاوى واختلاسات وسوء استخدام المال العام، وتحقق النيابة العامة فى بلاغات قدمت لها فى ذلك؟ وسوف يسفر الغد عن كثير!

ثم ماذا؟

إننا لانعارض جماعة الإخوان المسلمين (وكل الجمعيات المنشقة عنها والصادرة منها والمماثلة لها) عفوا أو عبثا ، لكننا نعارض فيهم استغلال

الإسلام لدواع سياسة ، واستخدام الشريعة لأسباب حزبية ، وتشويه الدين الحنيف بتحويله إلى أيديولوجيا سياسية كهنوتية، وتفريغ الإسلام من مضمونه الخلقى، وتسويغ أى فعل وتبرير أى تصرف - مهما كان لا إنسانيا ولا خلقيا - بأسباب من القرآن أو سوابق من الحديث ، وتنظير الإرهاب دينيا وتسويغه شرعيا ، وتنشر العنف والإرهاب فى العالم ، أجمع مماشوه الإسلام ولوث شريعته لأجيال بعيدة آماداً طويلة ورفضهم مبدأ الحوار بالعلم والجدال بالحسنى والنقاش بالتى هى أفضل، وإهدار دم مخالفيهم من المفكرين والكتاب ، وإخراج كل المسلمين - عدا أتباعهم - من دولة الإسلام ، وإنزال وصف الكفر والإلحاد عليهم وتبديدهم طاقة الأمة ، وقسمتهم الناس إلى إيمانيين (أى أنصارهم) وعلمانيين (أى ملحدين لم يكونوا من أنصارهم)، واتخاذهم التقية والنفاق أسلوبا للعمل ونهجا للقول وطريقا للفعل وأنكار حقوق الإنسان ، ورفضهم مبدأ المواطنة (مما يقر أن غير المسلمين بلا حقوق سياسية على الإطلاق ولاحقوق مدنية إلا فى نطاق ما يسمون هم به)، ورفع سلاح المسلم على المسلم.. إلى غير ذلك مما تطول قائمته . والنتيجة التى وصلوا إليها هى عداوة العالم للإسلام والمسلمين ، وحرب المسلمين للمسلمين فى أفغانستان ، والصومال ولبنان (والبقية تأتى)، وإطلاق المسلمين النار على مسلمين وهم داخل المساجد فى السودان وفى باكستان بغير رعاية حرمة للمكان ودون احترام قيمة الإنسان.. فماذا بقى لهم من الإسلام ومن الشريعة ومن الخلق ومن الإنسانية؟ ولماذا لا يعارضهم كل عاقل ، مهما هددوه وأرهبوه، وأهدروا دمه وتوعدوه بالقتل غيلة؟

وإن المناظرة التى يتضمنها هذا الكتاب هى خير دليل على هوان موقف

الإخوان المسلمين (وشيعهم وأضرابهم) وثبات موقف معارضيهم ومخالفيهم، عرضت بصورة موفقة ، وبأسلوب علمى، وبنهج سديد.

وإنه لمن تسطيح الفكر وتغييب العقل أن يقال عمن يخالف جماعات الإسلام السياسى (الأيديولوجيا الإسلامية) أنه موافق الحكومة . إن ذلك أخذ بنظرية طفولية قاصرة تقول "عدو عدوى صديقى". إن أغلب من يعارضون الإسلام السياسى لايوافقون الحكومة. فهنا أخطاء وهناك أخطاء. وليس يعنى نقد الحكومة الانضمام لصفوف الأيديولوجيا الإسلامية رغم خطأ مفاهيمها وخطر أسلوبها ، والنتائج الوخيمة التى انتهت إليها مع المسلمين وغير المسلمين ، وفى العالم أجمع. إن من يأخذ الأيديولوجيا الإسلامية لأنه يعارض الحكومة قاصر الفكر مشوش الفهم انتهازى الفعل وإننا لندعو الجميع أن يكونوا على الجادة، وأن يقفوا مع الحق، وأن يتبعوا طريق الصواب.

د. نصر حامد أبو زيد

مقاربة منهجية

عادل حسين ورفعت السعيد

خطابان أم خطاب واحد؟

من المتفق عليه - نظرياً على الأقل - أن الواقع المصرى ، وكذلك العربى ، فى حالة من التردى الشامل ، وأن معدلات الانهيار تتزايد وتتفاقم ، الأمر الذى يفرض على كل القوى الوطنية ، بعناصرها الاجتماعية والسياسية والفكرية ، أن تتكاتف وتتساند من أجل صياغة «مشروع» للإنقاذ الوطنى والقومى ، واللبنة الأولى فى صياغة هذا المشروع الاتفاق على الحد الأدنى من «الأهداف المشتركة» التى ينبغى أن تتحقق . أما اللبنة الثانية فهى الاتفاق على «الوسائل» أو الآليات التى تصلح لتحقيق هذه الأهداف المشتركة . ثم تتحول هذه الأهداف والوسائل إلى خطط عمل قابلة للتنفيذ بحسب كل مجال نوعى من مجالات الحياة والواقع بدءاً من التعليم بمراحله المختلفة وصولاً إلى طبيعة النظام السياسى وآليات اتخاذ القرار والعلاقة بين السلطات والمؤسسات.

ولقد كانت الدعوة إلى الحوار الوطنى سبيلاً للوصول إلى بلورة الملامح العامة لمشروع الإنقاذ ذاك ، لولا ما شاب هذا الحوار من آليات بدأت باستبعاد عنصار من القوى الوطنية ، وإقصاء كثير من الرموز الفكرية والسياسية ، وانتهت بهذا التحديد الصارم لموضوعات الحوار من جهة وللوقت اللازم لإجراء هذا الحوار من جهة أخرى.

وقد كان هذا طبيعياً فى ظل دعوة للحوار فرضت من أعلى ، أى فرضت بوصفها قراراً سيادياً واجب النفاذ ، وهو ما يتعارض تعارضاً كلياً مع مفهوم «الحوار» . لذلك كان لابد من أن يستمر الحوار ويتواصل خارج إطار الهيمنة السيادية لقرارات السلطة السياسية .

كانت مبادرة «الحوار الفكرى» الذى دار بين كل من عادل حسين ورفعت السعيد ـ والألقاب محفوظة ـ فى الأيام الأخيرة من شهر رمضان علامة طيبة من زوايا عديدة وهامة . الزاوية الأولى أن كلاً من المتحاورين مثقف له إنجازاته الفكرية المتمثلة فى كتابات عامة وأخرى نوعية ، يمثل عادل حسين مدرسة فى الفكر الاقتصادى ، ويمثل رفعت السعيد منهجاً فى «التاريخ السياسى» . الزاوية الثانية أن كلاً منهما يمثل حزباً من الأحزاب السياسية فى الحياة المصرية ، يمثل عادل حسين حزب «العمل» الإسلامى بوصفه أميناً عاماً ، وبنفس الصفة يمثل رفعت السعيد حزب «التجمع» التقدمى الاشتراكى . الزاوية الثالثة والهامة ، أن عادل حسين انتقل من معسكر الفكر الماركسى إلى معسكر «الحل الإسلامى» ، وعادل حسين من هذه الزاوية يمثل نقطة التحول (الاجتماعى السياسى الاقتصادى الفكرى) التى مر بها الواقع المصرى تمثيلاً رمزياً . أما رفعت السعيد المؤرخ السياسى فهو مشغول منذ

فترة ليست بالقصيرة بمساجلة تيار «الحل الإسلامى» متوغلاً فى تحليل ظروف نشأته التاريخية وعوامل تطوره كاشفاً القناع عن بُعد «العنف» و«التطرف» فى هذا التاريخ .

من هنا تأتى أهمية هذا اللقاء والحوار ، ومن هنا يأتى الحرص على تحليله تحليلاً يكشف آلياته وبنيته ، الظاهرة والمضمرة ، سعياً من جانبنا لتعميق مفهوم الحوار والانتقال به من حالة «المناظرة» ، وما يلابسها من السعى إلى «الغلبة» بمصارعة الخصم وطرحه أرضاً أمام الجمهور ، إلى «الحوار» الذى يدمج الطرف الثالث ، الجمهور ، فى بنيته . ولأن كاتب هذه السطور مشغول أساساً بقضايا «تحليل الخطاب» ، وهى القضايا التى يتصور أنها يمكن أن تساعد بشكل مؤثر وناجز فى تحليل أبنية «الوعى» فى ثقافتنا فإنه فى هذه الدراسة يعتمد على المنطلقات المنهجية والإجراءات التحليلية لهذا العلم . وعلم تحليل الخطاب ينطلق من مسلمات ذات طبيعة معرفية ، ويستخدم إجراءات تحليلية ذات طبيعة لغوية وأسلوبية وسردية ، وذلك يمكن قوله ملخصاً على الوجه التالى :

المسلمة المعرفية الأولى : أن بنية «الوعى» الاجتماعى تتجلى من خلال الثقافة بوصفها «خطاباً» أى مجموعة من الأنظمة الدلالية الرمزية التى تتواصل من خلالها الجماعة المعنية . وكل نظام من هذه الأنظمة يمثل «خطاباً» نوعياً داخل بنية «الخطاب» الثقافى العام . لكن هذه «الخطابات» النوعية تجد تعبيرها الجوهرى فى «خطاب» لغوى ، لأن «اللغة» تمثل النظام الدلالى المركزى فى بنية الثقافة .

يتفرع عن هذه المسلمة الأولى مسلمة فرعية ثانوية فحواها أن بنية «الوعى» الفردى تتجلى هى الأخرى فى «خطاب» ينتجه الفرد ، مع التأكيد أن الوعى الفردى بنية ثانوية من الوعى الاجتماعى . وحيث أن الوعى الاجتماعى هو مجموعة من المستويات التى تتميز وفقاً لاعتبارات كثيرة ، لعل أهمها مستوى التعليم والطبقة الاجتماعية والانتماء العرقى والمكانة ...إلخ، فإن الوعى الفردى ليس تعبيراً عن «الفرد» معزولاً عن انتمائه أو انتماءاته .

المسلمة الثانية المعرفية فى علم «تحليل خطاب» أن كل خطاب يتصور امتلاكه للحقيقة يعد خطاباً زائفاً ، ذلك أن الخطابات كما أسلفنا تعبير عن أبنية وعى ، وليس ثمة بنية وعى تتطابق تطابقاً كلياً مع بنية العالم أو التاريخ أو الحقيقة . وينبع عدم التطابق هذا من كون «اللغة» التى يتجلى من خلالها الوعى فى شكل «خطاب» نظاماً رمزياً لا يتماثل مع ما يرمز إليه على أي مستوى من المستويات ، فليست كلمة «الدم» هى الدم ذاته بخصائصه الفيزيقية ومكونات عناصره ناهيك بلونه أو رائحته أو طعمه . هذا من جانب ، واللغة ـ من جانب آخر ـ لا تولد معنا ، بل نحن الذين نولد فيها وتصنفنا إلى حد كبير بما تحمله ـ عبر تاريخها ـ من خطابات تمثل أبنية وعى نطلق عليها أحياناً اسم «التراث» أو «التقاليد» ، التى ليست سوى «خطابات» فى تاريخ اللغة ، ومعنى ذلك أن أقصى ما يفعله الفرد أو الجماعة أو خطابات فى اللغة، تتقاطع أو تتشابك أو تتماثل أو تتفاعل ـ دون أن تستقل مائة بالمائة ـ مع خطابات سابقة .

المسلمة الثالثة المعرفية ـ والتى ترتبط بمسألة الحوار ارتباطاً مباشراً ـ أن الخطابات لا تستقل عن بعضها البعض استقلالاً تاماً تتحول من خلاله إلى «نقائض» أو «أضداد» ، خاصة إذا كانت خطابات فى منظومة ثقافية اجتماعية وتاريخية واحدة .

إن حرص كل «خطاب» على أن يبرز استقلاله ، وعلى أن يؤكد تميزه وانفصاله ، عن الخطابات الأخرى ليس إلا آلية من آليات كل خطاب لإقصاء الخطابات الأخرى . وهى علامة من علامات «الخلل» فى بنية الثقافة دالة على إرهاصات انشقاق وتشظ واهتراء فى النسيج الاجتماعى . ومهمة علم تحليل الخطاب أن يرصد هذه الآلية ويكشف عن طبيعتها الإقصائية ، ويكشف فى نفس الوقت بالتحليل العميق عناصر «التداخل» فى الخطابات .

من هذه المسلمة الأخيرة يرصد علم تحليل الخطاب مستويين فى كل خطاب : مستوى «المنطوق» ، وهو الدلالات المفصح عنها والتى يعنيها الخطاب بالدرجة الأولى . والكشف عن هذا المستوى يعد مقدمة للولوج إلى المستوى الأعمق . ولا يحتاج المحلل لكشف دلالة المنطوق شيئاً وراء إجراءات علم اللغة التقليدية ، وهى الإجراءات المعروفة باسم التحليل الفيلولوجى .

المستوى الثانى هو الكشف عن «الفحوى» أو «المفهوم» ، وهى الدلالات المضمرة فى بنية الخطاب ، والتى يمكن الكشف عنها من خلال تحليل بعض عناصر الخطاب ، مثل المرجعية اللغوية ، كما تتبدى فى طبيعة المفردات والتراكيب اللغوية وما تحيل إليه من دلالات من حيث هى مفردات وتراكيب تنتمى إلى نمط تاريخى بعينه فى «خطابات» اللغة . العنصر الثانى

الذى يمكن أن نكتشف من تحليله «فحوى» الخطاب هو عنصر التأكيد والتكرار ، وهذا العنصر يكشف عن عنصر ثالث ، عن ما هو «غائب» ، ذلك أن التأكيد والتكرار يعنى تركيز «الحضور» للعناصر المكررة ، وكل «حضور» يقابله «غياب» أو بالأحرى «تغييب» عمدى يكشف للمحلل بشكل أعمق الدلالات المضمرة فى الخطاب .[٩]

المرحلة الثالثة فى تحليل الخطاب ، بعد كشف المستويين السابقين ، هى تحليل بنية الخطاب وذلك بتجاوز عناصر اللغة والأسلوب إلى البنية السردية ، أي تركيب الأجزاء وترتيبها ، بحيث يكشف التحليل «الجوهرى» و«الثانوى» فى بنية الخطاب ، وما يقع فى بؤرة الدلالة وما يلحق بهامشها . وهذا المستوى الثالث من التحليل هو الذى يمكن الباحث من كشف طبيعة العلاقة - أو العلاقات - بين الخطابات ، والتى قد تبدو من خلال تحليل المستويين السابقين متناقضة ومنفصلة انفصالاً تاماً . ذلك أننا سنكتشف أن الفروق بين الخطابات تتمثل فى عمليات «التبئير» - أى التركيز بالوضع فى بؤرة الدلالة - و«التهميش» بالنسبة للعناصر المكونة للخطاب ، فما هو فى البؤرة فى خطاب يضعه خطاب آخر فى الهامش وهكذا.

١ - مناظرة أم حوار :

منذ البداية حرص الصديقان - طرفا الحوار - على تأكيد أن ما هما بصدد القيام به ليس «مناظرة» (رفعت السعيد) ، وليس «تناطحاً» (عادل حسين) ،

بل هو «حوار» بهدف «أن نفهم وأن نتفهم ، أن نتفاهم على قدر ما نستطيع» (رفعت السعيد) . وهذا أمر أكده عادل حسين بطريقة أخرى ، بالإضافة إلى أنه «قلب مفتوح وعقل مفتوح» ، لأن ما يربطه بمحاوره صداقة طويلة وعريقة منذ خرجا من السجن عام ١٩٦٤ ، وأعلن ندمه كيف لم يتحاورا طوال هذه المدة !!. ثم قال إن فترة سجنه الأخيرة كانت فرصة لمراجعة النفس فى أمور كثيرة ، ومنها مسألة الحوار مع رفعت السعيد.

هذا الاستهلال يتضمن على مستوى المنطوق حرصاً على إبداء النوايا الطيبة من الجانبين ، لكن عنصر التأكيد والإبراز ، إلى جانب عنصر الاستبعاد والإخفاء ، يجعلنا نتوقف أمام هذه الدلالات ونتساءل : ما دلالة نفى مفهوم «المناظرة» ، رغم أن ما حدث فى الحقيقة لم يكن سوى «مناظرة» وليس «حواراً» ؟! هل يستدعى هذا الاستبعاد ـ بدلالة المخالفة ـ فى وعى الصديقين ما سبق حدوثه من مناظرات بين أنصار «الحل الإسلامى» والمدافعين عن مفهوم «الدولة المدنية» فى معرض الكتاب عام ١٩٩٢ ؟! لقد استبعد رفعت السعيد «المناظرة» بينما استخدم عادل حسين «التناطح» ، وهى مفردة لغوية تحيل دلالياً إلى «مصارعة الثيران» ، فهل كان ما حدث فى معرض الكتاب «مناطحة ثيران» ؟! أعتقد أن الصديقين كانا يعبران ـ بطريقة ضمنية لافتة ـ عن أمنياتهما ألا يكون لقاؤهما هذا تكراراً لما سبق حدوثه ، لا على مستوى من الممارسة و لا على مستوى النتيجة ، وهذا أمر مشروع على أية حال .

حرص رفعت السعيد على تكرار دلالة «الفهم» بصيغ حرفية تبدأ من الثلاثى (أن نفهم) وتتصاعد إلى الخماسى (أن نتفهم) بالتاء والتضعيف

الدال على بذل الجهد والقصد إلى الوصول إلى الفهم ، حتى يصل إلى الخماسى (أن نتفاهم) الدال على المشاركة فى الفهم بين طرفين يصل كل منهما إلى «فهم» الآخر . هذا الحرص نفسه باد فى مفردات عادل حسين ، وإن كانت تميل إلى مجالات دلالية أخرى (قلب مفتوح) و (عقل مفتوح) والندم على (عدم الحوار) سابقاً ثم الدعاء أن يفتح الله (الصدور والعقول) . لكن هذا الحرص من الطرفين على مستوى المنطوق لا يعنى أن (المفهوم) واحد ، فالمجال الدلالى لخطاب رفعت السعيد يتمثل فى الفعالية الإنسانية بينما يحيل المجال الدلالى لخطاب عادل حسين إلى مجال الفاعلية الإنسانية المشمولة بفعالية مفارقة والمحكومة بها ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يفتح الصدور والقلوب لبعضها البعض . ومعنى ذلك أن الاتفاق على مستوى المنطوق لا يعنى اتفاقاً على مستوى «النحوى» و «الفحوى» فى الافتتاحية على الأقل.

لذلك سنجد أن الاتفاق ـ الذى يعبر عن الأمنيات ـ فى الافتتاحية قد أخلى مكانه للاختلاف ، فتحول اللقاء إلى «مناظرة» ، وأخشى أن أقول إلى «مناطحة» سالت فيها دماء الأمانى الطيبة ، وتبددت فيها عناصر الصداقة المستدعاة ، وصرنا إزاء خطابين يعطى كل منهما ظهره للآخر تماماً متجاهلاً فى الوقت نفسه حقيقة أن الخطاب الآخر ـ الذى يتجاهله على مستوى المنطوق ـ ماثل فيه على مستوى المفهوم والبنية ومحايث له.

ولقد أحس المتناظران ـ ولا أقول : المتحاوران ـ بهذه النتيجة الفاجعة لكل منهما ، والتى لم تكن كذلك بالنسبة للجمهور الذى حضر للفرجة وتشجيع اللاعب الذى ينتمى إلى ناديه.

كان عادل حسين محقاً تماماً فى تعقيبه حين قال : «حديث رفعت السعيد هو بالدقة ما يعنى المناظرة» ، وكان محقاً كذلك فى وصفه له بأنه يتصور «أنه صاحب الفهم الصحيح للإسلام» . لكنه راح بدوره يبرز ما قاله فى حديثه الأول بطريقة إيحائية وضمنية ، أى أنه راح يبرز ما كان مضمراً ويعطيه مركز «الصدارة» ، وذلك حين تحدث عن «الحوار فى إطار التوافق الإسلامى» وعن قدرته على تحديد «الأهداف العامة» و«نوع الخلاف» وحدوده ، وقدرته أيضاً على إيجاد «وسائل» حل هذا الخلاف . وبعبارة أخرى جعل عادل حسين «الحوار» شأناً لا يمكن أن يقوم ، ولا يمكن أن يحقق الهدف منه إلا فى إطار «التوافق الإسلامى» وبذلك حصر «الحوار» فى القضايا التالية ، بشرط أن يكون الحوار فى «محبة الإسلام» :

١ ـ لكى نؤكد الوجه الصحيح للإسلام من منظور الأصولية الإسلامية .

٢ ـ كل القضايا تناقش فى «المنظور الإسلامى» .

٣ ـ مفهوم الدولة : هل هى مدنية أم دينية ؟

وهى قضايا يرى عادل حسين أنها يمكن بالحوار أن تصل بالمتحاورين إلى الاتفاق ، ثم يأتى الاختلاف فى شكل «اجتهادات» مع الالتزام بآراء الإسلام ، ويرى أن هذا هو «التاريخ» ، الذى هو بخلاف التاريخ الماضى الذى يجعل هواجس رفعت السعيد من الدولة الدينية والحكم الدينى مشروعة ، لأن هناك قوى فى التاريخ الماضى احتكرت الدين.

فى ظل هذه الشروط والثوابت التى يحددها عادل حسين للحوار ـ بوصفه نقيضاً للمناظرة ـ من حق رفعت السعيد أن يحس (بالاستدراج) على حد تعبيره ، وهو الاستدراج الكامن فى شرط الاتفاق على «الحل الإسلامى» ،

الأمر الذى يعنى الاتفاق مسبقاً مع التيارات الإسلامية التى يجمعها كلها شعار : «الإسلام هو الحل» . والإحساس بالاستدراج تعبير عن هاجس فى بنية خطاب رفعت السعيد ، وهو إحساس تحكم فى بنية خطابه إلى حد كبير ، كما سنشير فى تحليلنا فى فقرة تالية . إن ما هو غائب فى منطوق خطاب رفعت السعيد ـ وبالتالى فى مفهومه ـ هو ما عبر عنه الشاعر سمير عبد الباقى فى ملاحظته الموجهة لعادل حسين (مصباح قطب : ليلة تدفق فيها السؤال وتعطلت فيها الأجوبة ، الأهالى ، ٨ مارس ١٩٩٥ ، ص : ٧) : «ليس الخلاف مع الإسلام ، ولكن وجداننا الوطنى المصرى أكثر عمقاً تاريخياً وأرحب ، والإسلام فى مصر كالمسيحية كان مصرياً . إن الخلاف هو فى اعتبار الإسلام وحده الجذور والأصول للوطنية المصرية» .

ويتأكد أن الذى حدث كان «مناظرة» و«تناطحاً» وليس حواراً من تعليق بعض الذين تناولوا الموضوع من الجانبين (الأهالى ١٥ مارس ، ص:٨) . لقد كانت التعليقات أشبه بتعليقات المحللين لمباريات «كرة القدم» فى جانب منها على الأقل ، وليس فى كل الجوانب . ونقول ذلك حتى لا يتصور الأساتذة المعلقون من الطرفين أن نصف تعليقاتهم المنشورة كلها بهذا الوصف ، بل بعض الملاحظات فقط فى هذه التعليقات هى التى يصح عليها وصفنا .

يرى الأستاذ صلاح عدلى مثلاً :

١ ـ إن اللقاء كان مناظرة فعلاً . ويعلل ذلك باختلاف مشروع كل من التيارين اختلافاً جذرياً بحيث لا يوجد مجال للتوفيق بينهما خاصة فى الموقف من الدولة الدينية وتطبيق الشريعة والقانون الوضعى وحرية الفكر . ولم يلحظ صلاح عدلى أن تلك كلها قضايا تجنبها المتناظران تجنباً شبه تام

باستثناء قضية «الدولة الدينية» التى مساها مساً رقيقاً . وتلك دلالة سنعود لمناقشتها فيما بعد.

٢ ـ ينقد الدكتور رفعت لأنه «أعطى للجانب التاريخى والفقهى وقتاً أكثر من اللازم» وهو نقد شبيه إلى حد كبير بنقد اللاعب ـ الذى يضيع وقت المباراة ـ فى النقد الفنى الرياضى . وإذا كانت مقولة الكابتن لطيف الشائعة جداً هى أن «الكورة أجوال» ، فقد كان الواجب على رفعت السعيد فيما يرى صلاح عدلى : «أن يركز على الوقت الحاضر والأطروحات المعاصرة والدخول مباشرة فى القضايا السياسية محل الخلاف» .

٣ ـ لكن هذا النقد لا... يخفى جانب الإعجاب بأنه كان «الأقوى حجة والأكثر تأثيراً وامتلاكاً لأدواته ولذلك فقد حقق انتصاراً (لاحظ دلالةالمفردة اللغوية) واضحاً لوجهة نظره ، واستطاع أن يعرض وجهة نظر متكاملة حول الجذور الفكرية للتطرف والإرهاب .

أما الناقد الآخر ـ مجدى قرقر ـ فيرى أن «المباراة» كان يجب أن تبدأ بحديث رفعت السعيد «حتى يعرض رؤيته النقدية ليعقب عليها عادل حسين» ، وهو رأي لا يخلو من وجاهة باعتبار «المناظرة» لأن «المعقِّب» يتمكن من «تفنيد» أدلة المتحدث الأول فى الوقت الكافى ، وهى فرصة لا يتيحها تعقيب المتحدث الأول على حديث خصمه .

وهو يمتدح لاعبه لأنه تحدث فى «إطار ما يقتضيه فقه الأولويات» ، كما تحدث «بلغة السياسى دون أن يتنازل عن صحيح دينه» . لكن رفعت السعيد ـ اللاعب الخصم ـ وقع فى تناقضات كثيرة من منظور مجدى قرقر ، لعل أهمها أنه يوظف الدين لدحض رؤية مخالفيه ، ومن هنا ينطبق عليه هو مصطلح

«التأسلم» الذى يطلقه على الإسلاميين . و«تأسلم» رفعت السعيد من منظور مجدى قرقر يقوم على «اجتزاء النصوص» على طريقة «ولا تقربوا الصلاة» وعلى «تزييف التاريخ» ، ثم يقرر مجدى قرقر مسألة أن التعددية والديمقراطية (التى هى الشورى) من أصول الإسلام ، كما أنه لا توجد فى الإسلام دولة «ثيوقراطية» يحكمها رجال الدين ، وإنما هى دولة دينية يحكمها رجال مدنيون ـ لكن أحكامها تستمد من «الدين» .

٣ ـ موضوع المناظرة : المنطوق والمفهوم:

من الواضح أنه لم يكن هناك اتفاق مسبق على موضوع «المناظرة» أو «الحوار» ، ولم يكن هناك بالتالى تصور عند كلا المتناظرين ـ أو المتحاورين ـ حول نقاط الاختلاف التى يمكن أن تثار . كان من الواضح أن عادل حسين جاء ليثبت لرفعت السعيد والحزب الذى يمثله أن حزب «العمل» ليس فرعاً من الإخوان المسلمين . من هنا بدأ حديثه بالتعددية واختلاف الاجتهادات داخل جبهة «الحلف الإسلامى» كما أسماه ، وذلك لكى يصل إلى إثبات أن كل الفصائل العاملة فى حقل الدعوة إلى «الحل الإسلامى» انبثقت من داخل «الإسلام» ذاته ، وليس من عباءة "الإخوان المسلمون" : «كلنا خرجنا من عباءة الإسلام وكلنا استخلصنا اجتهاداتنا عبر فهمنا للأصولية الإسلامية المشتركة» . كان هذا هو الهدف الأساسى من حديث عادل حسين .

وهذا بالضبط ما كتبه فى جريدة «الشعب» (١٠ مارس ١٩٩٥ ، ص:٥) تعقيباً على الحوار المنشور . قال بعد أن اعتذر عن التقصير فى تغطية الندوة

من جانب محرر جريدة الشعب :

«لم يكن هدف الحوار إقناع رفعت السعيد بالتنازل عن آرائه ... ولكن كان الموضوع حول ما إذا كان هناك معتدلون ومتطرفون فى الحركة الإسلامية» . ومعنى ذلك أن بؤرة الحديث كانت إثبات التباين والاختلاف فى وجهات النظر . داخل الحركة الإسلامية ، وذلك بهدف إثبات أن هناك معتدلين وهناك متطرفين . لكن عادل حسين لم يذكر أبداً وجود متطرفين ـ أو إرهابيين ـ فى الحركة الإسلامية ، فانتهى على مستوى «الفحوى» إلى إثبات التباينات والاختلافات كلها «اجتهادات» منبثقة من «الأصول الإسلامية» المشتركة .

لكن ثمة هاجساً فرض نفسه على خطاب عادل حسين من كتابات رفعت السعيد فى الأهالى بصفة خاصة عن جماعة «الإخوان المسلمين» وتبنيها للعنف منهجاً فى التعامل مع الواقع منذ المرحلة الأولى من تكوينها وفى حياة مؤسسها الأول «حسن البنا» . هذا الهاجس فرض على خطاب عادل حسين مجموعة من المقولات تؤكد جميعها أن الجماعات الإسلامية عضوياً لم تخرج من الإخوان المسلمين (التأكيد من عندنا) ، وأن حزب «العمل» ـ من ثم ـ لم يخرج من الإخوان المسلمين ، فالكل خرج من عباءة الإسلام . فى هذا التأكيد يتجاهل عادل حسين الواقع والتاريخ المعلوم للكافة عن انشقاق الجماعات ـ عضوياً ـ من بعضها البعض نتيجة بعض الاختلافات . انشق القطبيون أولاً عن الجماعة الأم (كتاب حسن الهضيبى : دعاة لا قضاة) ، وانشقت التكفير والهجرة من القطبيين ، ثم تشققت التكفير والهجرة ـ داخل السجن ـ إلى جماعات أصغر وهكذا .

والاختلاف بين هذه الجماعات كما يعلم عادل حسين جيداً ، ليس اختلافاً في الفروع ، وليس اجتهادات حول فهم نفس الأصول ، بل هو اختلاف حول «أصول» حركية وحول أولويات ، ذلك أن الكفاءة المعرفية لزعماء هذه الجماعات لا ترقى إلى مستوى مناقشة أصل من الأصول التى تحدث عنها عادل حسين دون أن يحددها ، ولو عن طريق ضرب الأمثلة .

وحزب العمل الاشتراكي تحول إلى حزب العمل الإسلامى من خلال آليات «التحالف» السياسى والفكرى مع الإخوان المسلمين ، الأمر الذى أفضى إلى سيطرة الاتجاه الإسلامى على الحزب . والتاريخ القريب جداً للانشقاق الذى حدث داخل الحزب فأحدث نزاعاً حول الاستيلاء على مقار الحزب فى بعض المناطق يشهد على ذلك . لكن عادل حسين أراد أن يصور الأمر السياسى فى تكوين الجماعات وانبثاقها بوصفه أمراً معرفياً وعراكاً فكرياً خارج الزمان والمكان ، وهو تصوير أيديولوچى بامتياز كما يدرك عادل حسين جيداً .

كثير من الملاحظات السابقة تنطبق على خطاب رفعت السعيد ، الأمر الذى يبدو مفتقداً هو الآخر لتحديد الموضوع ولتحديد نقاط الاختلاف ، ومفتقداً من ثم لأبجديات الحوار والأمانى العذبة عن الفهم والتفهم والتفاهم . ولعل من أهم الملاحظات أن خطاب رفعت السعيد مسكون هو الآخر بهاجس الاتهامات التى يطرحها خطاب الإسلاميين ، لذلك كان حريصاً على الاستناد إلى النصوص فى كل ما يقول . كما كان حريصاً على الضبط اللغوى الفيلولوچى للمصطلحات بالعودة إلى معاجم اللغة ، دون أن يدرك أن المصطلح فى مجال تداوله يتباعد عن أصله اللغوى تباعداً قد يصل إلى حد التنكر للأصل ذاته . والغاية التى كان يسعى إليها خطاب رفعت السعيد من عملية رد المصطلح

إلى أصله اللغوىّ هى حرمان الحركة ، أو الحركات ، الإسلامية من أن توصف بالأصولية أو التطرف أو السلفية ، وذلك لصالح الوصف الذى صاغه رفعت السعيد واشتقه من «التأسلم» .

ومن الواضح أن محاولة رفعت السعيد التمييز بين «الإيمانى» و«السياسى الاجتماعى» فى ظاهرة الدين ، واعتبارهما عنصرين غير متلازمين تستهدف أول ما تستهدف التعامل مع ما يسمى بالحركات الإسلامية بوصفها حركات سياسية . لكن آلية الإقصاء ، أي إقصاء هذه الجماعات ، عن دائرة الإسلام تمت فى خطاب رفعت السعيد عن طريق توظيف النصوص الدينية ذاتها ، أي تمت وفق آليات عدم التمييز بين الدينى والسياسى . لذلك كان من السهل على مجدى قرقر أن يتهم رفعت السعيد باجتزاء النصوص . والحقيقة أن هذه الآلية ـ آلية توظيف النصوص لإقصاء الخصم ـ هى الآلية التى تجمع بين الخطابين ، مع ضرورة ملاحظة أنها آلية مضمرة فى خطاب عادل حسين حين جعل شرط الحوار «الاتفاق الإسلامى» .

والخطابان فى النهاية لا يختلفان كثيراً حول القضية التى طرحها عادل حسين عن التعددية بوصفها اجتهادات فى فهم الأصول الإسلامية . يرى رفعت السعيد أن الجماعات ثلاثة أقسام «ولكن الخيمة واحدة والوعاء الفكرى واحد» ، وهذا كلام لا يختلف كثيراً عن كلام عادل حسين . ويبدأ التمايز بين الخطابين يتحدد على مستوى واقع «العنف» و«الإرهاب» ، ففى حين يرفض عادل حسين «القول بأن أى شاب يلجأ للعنف والإرهاب فلابد أن يكون خارجاً من عباءة الإخوان المسلمين» ، يذهب رفعت السعيد إلى أن التطرف يأتى من ستة أبواب ، والمضمر طبعاً أن «التطرف» يفضى إلى الإرهاب ، وذلك على

عكس تعريفه للتطرف فى أول حديثه . هذه الأبواب الستة هى :

١ ـ ادعاء ملكية الإسلام .

٢ ـ الفهم النصى للقرآن والسنة (لعله يقصد الفهم «الحرفى» ، لأن الفهم لابد أن يكون «نصياً» ، أى نابعاً من النص ، مادام القرآن والسنة نصوصاً) . والدليل على أن رفعت السعيد يقصد الفهم «الحرفى» أنه يضع مقابلاً له «الفهم الاستردادى» ، وأظنه يقصد فهم النص فى سياقه التاريخى الاجتماعى ، وليس خارج هذا السياق ، وهذا الفهم «الذى يضع النص فى إطاره الصحيح ويجعلنا قادرين على فهمه» بعبارة رفعت السعيد .

٣ ـ تسييس الدين أو تديين السياسة .

٤ ـ القول بوجوب حكومة إسلامية ، أو خلافة فى قول عادل حسين .

٥ ـ العبث بالوحدة الوطنية وبحقوق الأقباط .

٦ ـ ؟ لم يمكن استنباط الباب السادس من النص المنشور الذى اعتمدنا عليه فى هذا التحليل لكن رفعت السعيد فى ذلك كله لا يفتأ يردد أن «الأصل» جليل ومفترض فيه كلية الصحة ، والدين شيء جليل كلى الصحة ، أي أنه لا يختلف مع عادل حسين حول «الأصول الإسلامية» التى ينبع منها الاجتهاد ، وينبع منها من ثم التباين والاختلاف والتعددية .

وهذا كله يفضى بنا إلى أن الخلاف بين الخطابين يقع خارج دائرة «المنطوق» فى خطابهما ، ذلك أنه من تحليل المنطوق يتضح الاتفاق حول أهم نقطتين :

١ ـ أن الحركات والجماعات التى تدعى إسلامية انبثقت كلها من «الأصول الإسلامية» عند عادل حسين ، ومن «خيمة واحدة ووعاء فكرى

واحد » عند رفعت السعيد .

٢ ـ أن الإسلام متمثلاً في نصوصه هو المرجعية الكلية التي لا خلاف حولها ، لكن الاختلاف يأتي من «الفهم الحرفي» من جانب الجماعات ، ووجود «الفهم الاستردادي» الذي يطرحه رفعت السعيد .

٣ - النتيجة الثالثة المتفق عليها كذلك ، أن كل خطاب من الخطابين يتصور امتلاكه للإسلام ، وقدرته على فهمه الصائب، أي امتلاكه للحقيقة التي لايمتلكها خطاب آخر.

ويبقى بعد ذلك نقطة الخلاف الأساسية حول "الإرهاب" ، أو بالأحرى إدانة "الإرهاب" وهي القضية التي ركز عليها رفعت السعيد ، فحولت المناظرة إلى ما يشبه العراك.

٣ - الخطاب على مستوى الأسلوب وبنية السرد:

بدأ خطاب رفعت السعيد على غير المتوقع خطابا يعتمد على مرجعية النصوص اعتمادا شبه كامل ، سواء كانت تلك النُّصوص مشتقة من التحليل اللغوي المعجمي، أم كانت مشتقة من الحديث النبوي، أم من الأقوال والشهادات - التي حرص على إيرادها كاملة وبألفاظها- التي قالها أو كتبها بعض رموز الحركة الإسلامية، خاصة من جماعة الإخوان المسلمين. كان من الواضح أن رفعت السعيد يحاول أن يثبت أنه يتجنب الخطابة والوعظ وإلقاء الكلام على عواهنه ، ملقيا كل تلك النواقص - بطريقة ضمنية لافتة - على حديث خصمه . لكن الأخطر من ذلك من منظورنا أن اعتماد مرجعية القول

المنسوب إلى النبى: "الخلافة من بعدى ثلاثون سنة... إلخ" لنقد تاريخ الخلافة الاجتماعى، أوقع خطاب رفعت السعيد فى القراءة النصية - أو الحرفية - التى يعتبرها بابا من أبواب التطرف والإرهاب.

وثمة قراءة نقدية لهذا النص المستشهد به - وهو نص يمثل نبوءة بالمستقبل غير معهودة فى خطاب الإسلام - تضعه فى سياق الهجوم على الدولة الأموية وعلى معاوية ويزيد ابنه بالتحديد. وكان من المفترض أن المؤرخ الناقد رفعت السعيد يتجاوز القراءة النصية الحرفية إلى القراءة الاستردادية التى تضع النص فى سياق ما أطلق عليه عام الجماعة (٤٠هـ) وهو العام الذى تنازل فيه الحسن بن على لمعاوية بن أبى سفيان عن الخلافة. وكان "الخوارج" ضد هذا "الإجماع"، لعلهم، أو لعل فرقة معارضة أخرى، هم الذين وضعوا هذا القول ونسبوه للنبى.

لكن القراءة النصية الحرفية مشروعة من منظور خطاب رفعت السعيد لأن بؤرة الخطاب هى العنف والإرهاب بوصفها ظاهرة ترتبط عضويا - بجماعات "التأسلم" على حد تعبير رفعت السعيد. وهنا يقع الخطاب فى قراءة حرفية أخرى حين يتجاهل وجود "العنف" ظاهرة عامة فى الواقع المصرى السياسى والاجتماعى واليومى، وإن كانت لها تجليات ومظاهر مختلفة، ويعلم الدكتور رفعت السعيد أن "العنف" ظاهرة أعمق من عنف الذين يرفعون لواء الإسلام. والتحليل الاجتماعى لخلفيات الشباب الذى يمارس هذا العنف يكشف عن نماذج من الجهل والإحباط والضياع التى لا تجد تفسيرا لها إلا فى الواقع الاجتماعى؟ الذى يؤهل هذه النماذج لتكون وقودا فى صراع لاتعى هذه العناصر من الشباب أيا من مكوناته أو أسبابه أو دوافعه.

وبسبب هذه القراءة النصية الحرفية للنصوص وللواقع معا اعتبر رفعت السعيد أن "إدانة الإرهاب" علامة تبرئة ، وأن نقد نظام البشير في السودان أو نقد إرهاب الجماعات في الجزائر ، يمكن أن يكون السبيل لفتح باب الحوار. في هذا الإصرار على انتزاع اعتراف بإدانة الإرهاب يتماثل خطاب رفعت السعيد مع خطابات تراثية عديدة ويستدعيها. فضرب على سبيل المثال إصرار الحجاج بن يوسف الثقفي على أن علامة ولاء القاضي أو الفقيه أو العالم هي أن يسب عليا بن أبي طالب، وكذلك كان يفعل الخوارج الذين يمتحنون الناس ويعرضونهم على السيف كما أورد الدكتور رفعت السعيد نفسه. ويذكر الدكتور رفعت السعيد أن معيار الولاء لنظام السادات في السبعينيات كان الرأي في مظاهرات الخبز عام ١٩٧٧ "هل هي انتفاضة حرامية أم انتفاضة شعبية؟".

وليس خطاب عادل حسين من هذه الزاوية مختلفا عن خطاب رفعت السعيد ، وإن كان الأسلوب - ظاهريا - مغايرا . اعتمد عادل حسين أسلوب التحليل السياسي محاولا إخفاء أسلوب الخطاب الديني ، لكنه كان يطغى بين الحين والآخر على أسلوب السرد السياسي. في عرضه السردي السياسي سبق أن أشرنا في الفقرة السابقة إلى أنه يتجاهل السياق التاريخي الاجتماعي لانبثاق الجماعات من التنظيم الأم. وهو كذلك في سرده السياسي لانبثاق "الصحوة" الإسلامية، يبدو على السطح محللا سياسيا ، لكن عمق الخطاب يكشف عن التأويل الديني للتاريخ. يجعل عادل حسين من انهيار الخلافة العثمانية "بداية لانهيار آمال كثيرة وتطلعات لاستعادة وحدة المسلمين".

وهذه النقطة التى يعتبرها عادل حسين نقطة البداية فى انبثاق الصحوة الإسلامية تمثل وثبة تجاهل وقفزة فى الهواء لإنكار مرحلة "الإصلاح الدينى" التى تمثلت فى صياغتها الناضجة فى خطاب الإمام محمد عبده وتلاميذه . لكنها هى النقطة الصالحة لأيديولوجية الخطاب لتجعل البداية هى الدعوة للخلاقة التى قام بها حسن البنا مكونا جماعة الإخوان المسلمين. من هنا يفقد التحليل السياسى لعادل حسين مشروعيته ، وينكشف عن تحليل دينى، يعتبر التاريخ هو تاريخ الإسلام السياسى الذى يمثل جماعة الإخوان انبثاقه الأول . هذا رغم أن عادل حسين ينكر ذلك على مستوى المنطوق كما أشرنا من قبل.

تظل مخايلة الخطاب السياسى مستمرة فى تحليل عادل حسين حين يلجأ لمفاهيم "الأغلبية" و"الأقلية" حيث يرى أن "الأغلبية" كانت منبهرة بالغرب وبمحاكاته، وكانت فاقدة للأمل فى **الأدوات القديمة** ، وفاقدة الثقة فى **قدرة الإسلام على التجدد بعد طول الجمود** .نلاحظ هنا أن "التجدد" و"الجمود" مصطلحات يلصقها عادل حسين بالإسلام وليس بالمسلمين ، وذلك لأنه يريد أن يرد تخلف المسلمين إلى شىء غير العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الفاعلة . كان هذا موقف "الأغلبية" ، أما موقف "الأقلية" فكان السعى إلي محاولة **استعادة الدولة الإسلامية** ومحاولة النهوض من جديد تحت راية الإسلام فى لاوعى الخطاب أن الخلافة "أدوات قديمة" ، وفى لاوعيه أيضاً أن الدولة الإسلامية ماض ، لكنه يمكن أن يستعاد . عند هذه النقطة يتحول خطاب عادل حسين من التحليل السياسى إلى الحديث بضمير الجماعة تماهيا مع تلك الأقلية التى كانت مرفوضة من الأغلبية . يقول "بعد مسيرة طويلة من الجهاد.. مررنا بكثير من التجارب

والابتلاءات .. بعد كل ما جرى وكل ما امتحنا به وبعد كل التجارب أصبح هناك ما نسميه اصطلاحا (الصحوة الإسلامية)". ولكن كيف تحولت "الأقلية" السياسية صاحبة الدعوة إلى استعادة الراية الإسلامية إلى "أغلبية"؟ وكيف صارت الدعوة التى لم يكن هناك مجال كبير للتمحيص فى حقيقتها صحوة واضحة المعالم؟!

هنا يتخلى خطاب عادل حسين عن لغة التحليل السياسى ليدخل فى لغة التحليل النفسى، حيث يرى أن الجيل الجديد يتحلى بالبراءة الأصلية التى حرمت منها الأجيال السابقة بسبب تربيتها ، وكأن الأجيال الجديدة تعيش على "الفطرة"! يقول عادل حسين: "إن كثيرين من جيلى والذين يحيطون بهذا الجيل فى السن من حيث أرادوا أو لم يريدوا كل أسير ما تربى عليه وماسار فيه. وهذا التاريخ الشخصى لكل منا يؤثر على سلوكه وعلى نظرته بدرجة أو أخرى ، وفى كثير من الأحيان يصل هذا التأثير إلى حد أنه يأبى أن يعترف بالحقائق لأنها تتنافى مع ما ألف طول عمره على اعتباره باطلا. والأجيال الجديدة بحمد الله متحررة من هذه التحيزات أخذت التجربة من آخرها ، استفادت مما فعلته الأجيال السابقة ، استفادت بهذه الخطوة إضافة إلى ما تعلمته بذاتها ، ووصلنا إلى أن الأجيال الشابة فى كل أمتنا العربية والإسلامية ترى بأغلبية ساحقة أن الإسلام هو أساس النهضة".

هذا التمييز إلى حد الفصل الكامل بين الأجيال على أساس من "عدم البراءة" و"البراءة" تمييز هام فى بنية خطاب عادل حسين الذى بدأ بالإشارة إلى تجربته الشخصية فى التحول من فكر إلى فكر . يكاد الخطاب هنا يقول إن

عادل حسين هو من القلائل النادرين الذين استطاعوا التخلى عن تحيزاتهم التى فرضتها عليهم التربية والتاريخ الشخصى ليسلموا بالحقائق . وهذا التمييز يعد - من جهة أخرى - بمثابة رسالة للمخاطب الأول رفعت السعيد وأمثاله بالتخلى عن قناعاتهم ، لأنهم محبوسون لأجلها. لكن السؤال الحقيقى : هل ثمة براءة أصلية بالفعل فى الأجيال الجديدة هى التى أدت إلى ظاهرة الصحوة؟ وهل صحيح أن الأجيال فى كل - أكرر كل - الأمة العربية والإسلامية كانت بهذه البراءة؟

تلك بعض الأسئلة التى يمكن أن تكشف بعض جوانب المضمر بل والمكبوت فى خطاب عادل حسين . لكنه كما اعتمد على ثنائية "الأغلبية/ الأقلية" و"البراءة/ عدم البراءة" يكرر نفس الثنائية من زاوية أخرى تضع "الإسلام" فى مواجهة "الحضارة الغربية" السائدة "المادية العلمانية" ، والتى تعانى حقيقة من أزمات طاحنة تسبب مآسى خطيرة لكافة المجتمعات البشرية.

و"الإسلام" يملك من "القيم" ويملك من "الرسالة" ما يمكن أن يحل كثيرا من مشاكل البشر "لو استطعنا أن ننهض وأن نقيم هذه الأمة على أساس اقتصادى وعسكرى وسياسى متين".

لكن هذا الشرط، الذى هو النهضة على أساس اقتصادى وعسكرى وسياسى، هل يمكن تحقيقه فى كل هذا "الانفصام" الذى صاغه بين "الإسلام" و"الحضارة المادية العلمانية" ؟ وهل هناك بالفعل حضارة غربية ذات طابع مطلق لا زمانى لا تاريخى ، أم أن ما يسمى باسم الحضارة الغربية ليس إلا ثمرة سيرورة تاريخية ثقافية حضارية إنسانية متراكمة تشع الآن فى هذا

الغرب؟ تلك كلها أسئلة لامجال لها فى خطاب "ثنائى البنية" سواء توسل بلغة التحليل السياسى أم بلغة التحليل النفسى ، أم بلغة الوعظ الدينى ، وتلك هى اللغة الوعظية الإنشائية التى يختتم بها عادل حسين حديثه فى النقاط التالية:-

١ - الصحوة الإسلامية مَدٌّ عارم هو المحرك للحيوية الاجتماعية والسياسية.

٢ - الأمة من منظور الحركة الإسلامية فى أزهى عصورها ، لكن المعزولين عن "نور الله" يشعرون أنهم معزولون فيتهمون الشباب بالسلبية .

٣ - أنتم (المخاطبون هنا من لايوافقون على شعار "الإسلام هو الحل") الذين لاتعبرون عن طموحات الجماهير.

٤ - يجب على المثقف الجاد من غير الإسلاميين ألا يتعالى على هذه الحركة التاريخية الجبارة ، فلم يعد مقبولا أن يقف المثقفون موقفا متعاليا فى حين أن الجماهير لها خيار واضح.

ولاتختلف لغة الوعظ الدينى هنا فى خطاب عادل حسين عن لغة الماركسى الداعية رغم اختلاف المفردات . ونلاحظ هنا أن خطاب عادل حسين يدمج مفردات الوعظ كلها فى بنية واحدة ، سواء كان وعظا دينيا أم وعظا ماركسيا . فالذين يتهمون الشباب بالسلبية هم "المعزلون عن نور الله" (وعظ دينى) أنتم لاتعبرون عن طموحات الجماهير (وعظ ماركسى) وكذلك تنتمى مفردات "الحركة التاريخية" و"تعالى المثقف" إلى مجال الوعظ الماركسى الموظف هنا توظيفا دينيا.

وختام المسك فى خطاب عادل حسين الاستشهاد بالصهاينة المتعصبين لدينهم ومطالبته المسلم أن يكون مثلهم ، ثم دعوة الإخوة الأقباط للمشاركة فى "الحل الإسلامى" لأن غالبيتنا تؤمن بالإسلام كدين.. والإسلام وإن كان دين الغالبية فهو التاريخ المشترك للكل... نحن أمام إرث حضارى مشترك حتى لو اختلف الدين". وهنا يتجاهل عادل حسين أن للإخوة المسيحيين تاريخا سابقا على تاريخهم المشترك مع المسلمين، كما يتجاهل أن هذا التاريخ جزء من تاريخ "الوطن"، وهو البعد الغائب تماما فى خطاب عادل حسين داخل مفاهيم فضفاضة مثل الأمة والتاريخ والنهضة.

٤ - الخطابان يسكن كل منهما الآخر:

لاحظنا من التحليل السابق أن كل خطاب من الخطابين حاول أن يميز نفسه عن الآخر تمييزا حادا ، سواء على مستوى المنطوق أو على مستوى الفحوى والمفهوم . لكنا كشفنا أن فى بنية الخطابين من "الاتفاق" الكثير، لكنه الاتفاق الذى يسلم به كلاهما على مستوى المناظرة والمواجهة - الدليل على ذلك أن جريدة الأهالى (أول مارس ١٩٩٥) حين نشرت نص الحوار أسمته "المواجهة" لأن الجريدة تريد أن تبرز تمايز الخطابين من الوجهة الحزبية. ونشرت فى الصفحة الأولى مانشيتا يبرز قولا لعادل حسين وآخر لرفعت السعيد على النحو التالى:

عادل حسين: الشيوعيون مثل الإخوان المسلمين كانوا جميعاً دعاة عنف فى الأربعينيات.

رفعت السعيد: الشيوعيون الآن يدينون الإرهاب ، ودلونى على إخوانى واحد أدان جرائم القتل.

هنا - أى من خلال عملية الإبراز المتمثلة فى مانشيت الصفحة الأولى - نجد أن آلية التمييز واضحة بين الخطابين : الشيوعيون والإخوان المسلمون من جهة ، وإدانة الإرهاب والصمت فى مواجهته من جهة أخرى. فإذا تجاوزنا الصفحة الأولى إلى نص المواجهة فى الصفحتين السادسة والسابعة ، نلاحظ حرص الجريدة على "إبراز" بعض أقوال عادل حسين (الذى يشار إليه هنا باسم أمين حزب العمل أى بالتركيز على الصفة الحزبية) وما يرد عليها وينقضها من أقوال رفعت السعيد (الذى يشار إليه كذلك بصفته الحزبية: أمين التجمع). ويتم هذا الإبراز على شكل "مواجهة" القول بنقيضه فى الصورة الشكلية الدالة التالية:

أمين العمل

١ - التعددية فريضة إسلامية أومن بها داخل الحلف الإسلامى.

٢ - حزب العمل فصيل إسلامى خرج من عباءة الإسلام لا من عباءة الإخوان.

٣ - نحن الظاهرة المعاصرة للصحوة الإسلامية ذات الأبعاد الدولية.

٤ - التاريخ الإسلامى شهد كثيراً من المآسى علينا أن نستخلص منها العبر ونتجاوزها.

أمين التجمع

١ - شعارات حزب العمل عن الديمقراطية لاتتسق مع تمجيده لنظام البشير

٢ - الوعاء الفكرى للتيار الإسلامى واحد وجميعهم ينادى بالخلافة والحكومة الدينية.

٣ - هل نسمى المذابح بين المسلمين فى أفغانستان صحوة إسلامية؟

٤ - جريدة "الشعب" وصفت الإرهاب فى حادث "زينهم" بالشهداء الأبطال الأبرار.

باستثناء المواجهة رقم ٢، والتى كشفنا أنها تمثل فى الحقيقة نقطة اتفاق لا اختلاف ، حرصت الجريدة على إبراز ، "التمايز" الذى يبرر "المواجهة" ، وبذلك كشفت الجريدة عن آليات "التوضيب" - عن "الظاهر" في منطوق كل خطاب. لكن هذا "الظاهر" ذاته على مستوى المنطوق يكشف القناع عن الطبيعة السياسية - لا الفكرية - الحزبية للمواجهة. وفى إطار المواجهة الحزبية ، فى ظل انتخابات قادمة ، لايتحقق حوار ، بقدر ما يكون الأمر "مواجهة" فى سياق دعائى حزبى .

هذا السياق يكشف لنا عن البعد الباطن فى بنية كل خطاب، وهو البعد المتمثل فى كون كل خطاب مسكون بما يتصور أنه نقيضه . لذلك جاء عادل حسين ومدخله الأساسى إبراز "التعددية" وذلك دون أن يتنازل عن "الوفاق الإسلامى". أما رفعت السعيد فكان خطابه مسكونا بهاجس "فقه النصوص"

وإثبات العلاقة بها والقدرة على فهمها، بل ومنازلة الخصم على أرضها . وفى سياق التحدى الذى أعلنه عادل حسين فى نهاية خطابه كان رد التحدى بتحدٍ مثله "اعلنوا إدانة الإرهاب".

لكن فى إبراز خطاب عادل حسين للتعددية تم تغييب "الديمقراطية "، وفى تركيز رفعت السعيد على "إدانة الإرهاب" تم تغييب البعد الاقتصادى الاجتماعى للظاهرة. كان كل واحد من الخطابين يريد أن يصرع الآخر بالضربة القاضية إن أمكن، لكن الذى غاب فى سخونة المباراة أكثر من الديمقراطية وأعمق من التحليل الاقتصادى الاجتماعى السياسى لظاهرة "الإرهاب" والعنف : ضاع سؤال "الهوية" الذى يحصره خطاب عادل حسين فى "الإسلام" دينا وتاريخا وثقافة ، كأن إنسان المنطقة والوطن كان بلا تاريخ ولا وعى ولا ثقافة أو حضارة قبل الإسلام . ومع ضياع سؤال الهوية شكل "المرجعية الشاملة" للنصوص الدينية ، وهى المرجعية التى تؤسس قيام مفهوم الدولة الدينية وما يلحق بها من مفهوم الخلافة . وإذ يضيع السؤالان الجوهريان عن الهوية ومجال فعالية النصوص الدينية يتم تغييب "التاريخ" ، وحيث يغيب التاريخ ينطمس الواقع تحت وطأة، الأولويات الحزبية والسياسية.

ولا تفسير لهذا الغياب - أو بالأحرى التغييب - إلا بغياب الأبعاد المعرفية فى كلا الخطابين وذلك لحساب حضور الأبعاد السياسية المباشرة ، وهى الأبعاد التى تجعل كل خطاب مسكون بهواجس الآخر عنه ، فتجعل الناتج نوعا من "المساجلة" مع هذا الهاجس المستكن والرابض والقاتل أحيانا كثيرة للخطاب وهو فى مرحلة "الإنشاء". وكان مدخل "التعددية" الذى طرحه عادل

حسين ممكن أن يمثل نقطة بدء صالحة للحوار ، لو كان هناك اتفاق على تحديد "الموضوع" أولاً.

وليس في كل ما نقول تقليلا من شأن الأبعاد السياسية في أي حوار، وليس فيه أي محاولة لاستبعاد قيام حوار حول كثير من مشكلات حياتنا السياسية . لكن ثمة فارقا بين الحوار حول مشكلاتنا السياسية من منظور معرفي علمي وبين التخلي عن المعرفي بسبب غلبة الأهداف السياسية النفعية المباشرة وأظن أن ما قمنا بتحليله هنا كان مواجهة سياسية أو مناظرة سياسية في سياق دعائي أكثر منه حوارا . وكان انقسام الجمهور خير شاهد على ذلك، كما كانت تعليقات المعلقين من الطرفين شاهدا آخر على أن ما حدث كان مساجلة سياسية أشبه بمباريات كرة القدم.

خليل عبد الكريم

حاشية أحادية الجانب:
هؤلاء الإسلاماركسيون وفحاتهم المنكرة

(١)

روجيه (فيما بعد رجاء) جارودى ، د/ محمد عمارة ، أ. محمد جلال كشك ، د. مصطفى محمود[١] ، أ. عادل حسين ، ماركسيون عتاة نأوا بجانبهم عن الماركسية وولوا وجوههم شطر الإسلام.

ونحن - المسلمين - مأمورون بأن نرحب بمن يدخل ديننا ويهاجر إليه ، ونقول له ربح البيع كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصهيب بن سنان الرومى عندما وصل إلى المدينة "يثرب" مهاجراً: ربح البيع يا أبا يحيى[٢] ، وأن نحسن الظن به وألا نشق عن قلبه ولانفتش في صدره لنعرف البواعث التى دفعته إلى الانضواء إليه، ونصدقه تماماً عندما نسمعه يصرح أن الذى حضه على ذلك عظمة الإسلام وسموه والنظرية المتكاملة التى جاء بها والتى تفسر الحياة وتحل لغز الموت أو على الأقل تقدم عزاءً مريحاً للنفس ومطمئنا للقلب

إزاء مصيبته، وهي النظرية التي لم تسبقه إليها فلسفة من الفلسفات، ولن تلحقه وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان وستظل هكذا حتى يرث الله الأرض وما عليها، وأن الماركسية أخطأت في كل نبوءاتها وأن مبادءها مضادة للفطرة وأنها تقضي على روح الإبداع والابتكار لدى الفرد وتحوله إلى رقم ضمن المجموع (وأنها كلمة مفرغة من المحتوى يستعملها جميع الفرقاء لجميع المعاني المتناقضة وأصبحت تدل على الشيء ونقيضه وعلامة اختلاف لا اتفاق فيه أبداً، وأينما دخلت في أي بلد دخل وراءها الدم والرصاص)[٣]، وأن الذي جذبه إلى الإسلام (بساطته ونقاؤه وأنه افتتح آياته بالعلم)[٤]، وأنه (ظاهرة فوقية عن البيئة)[٥]وإنه (جاء مقرراً المساواة في الفرص وحق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر والموجه)[٦] هكذا!!!

وأنه (لايتملق الكثرة... ولايداهن الأغلبية بل يذمها لأنها على جهل)[٧] (فالأغلبية هي الغوغاء ولايتملق الغوغاء إلا الغوغائيون وأهل المذاهب الغوغائية)[٨]. نصدقه في كل هذا ونسأل الله أن يفتح عليه فتوح العارفين وأن يزيد بصيرته نوراً ليدرك مزيداً من شواهد عظمة الإسلام.

(٢)

إنما هناك نقاط موضوعية من العسير تخطيها أو تجاوزها أو غض الطرف عنها منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ - إن الفترة التي هرول فيها هؤلاء وولجوا بوابة الإسلام الذهنية تزامنت مع ما عرف به (الحقبة النفطية) وازدهار وتألق (البترودولار) وصيرورته صاحب

بريق يخطف البصر ويزغلل العين ، ويدير رأسَ السهف[١٠] من الرجال ويفقده توازنه وينسيه الشفع والوتر.

ومن الصعب : تصديق مقولة إن خلع هؤلاء لبسة الماركسية وارتداء عباءة الإسلام في تلك الفترة كان مجرد مصادفة عمياء.

ب - أنهم بعد أن أسلموا وتحمسوا للإسلام وأصبحوا من سدنته وأشد دعاته حماسة وغيره وفي طليعة دهاقنته ومرازبته.. تحولوا من طبقة مساتير الناس[١١]بتعبير شيخنا الجبرتي إلى طبقة البرجوازية الكبيرة التي تعيش في بحبوحة وبُلهنية[١٢] بعد أن صبت عليهم الدنيا صباً والذى صبها عليهم هم أولئك الذين فرحوا بمفارقتهم الماركسية أكثر من دخولهم الإسلام كما يقول المثل الدارج (لاحباً في على ولكن كراهية في معاوية). ولكي تتحول فعلتهم من ظاهرة محدودة أو شديدة المحدودية إلى حركة واسعة وهجرة جماعية واشتركت هيئات كثيرة في احتضانهم والإغداق عليهم بل وإغراقهم في حنايا النعيم منها ما كان دافعه أيديولوجي ومنها ما كان دافعه سياسي ومنها ما كان دافعه ديني إذا اعتبرهم أصحاب الدافع الأخير من المؤلفة قلوبهم الذين تجوز فيهم الصدقة طبقا لنص الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم)[١٣]. وفي الحديث النبوى (.. إني أُعطي رجالا حدثاء عهد بكفر أتألفهم)[١٤] وفي نظر المتصدقين إن اعتناق الماركسية كفر، يُعد تاركها إلى الإسلام مستحقاً لهذا النوع من مصارف الزكاة المعروفة . ومما يستدعي الانتباه إن كل هذه الإغراءات والإغراقات في محيط البترو دولار لم تنجح في تحويل تلك الظاهرة المحدودة إلى حركة واسعة أو هجرة جماعية وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة معمقة تخرج عن مسار بحثنا.

لكن الذى لاشك فيه أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن هؤلاء أو بعضهم ما كان يجد اللظى [١٥] - أصبحوا من الأثرياء الأماثل فور تسربلهم بالإسلام.

(٣)

يؤكد علم النفس (أن أسلوب الشخص وطرقه مع الآخرين لاتمليها فى كثير من الأحيان خصائصه الشخصية بقدر ما تمليها توقعاته عن الدور الذى يقوم به وتوقعات الآخرين عن هذا الدور أيضاً)[١٦]، وإنطلاقاً من هذه القاعدة النفسية أخذ الإخوة الإسلاماركسيون يحرصون على تقديم أدلة الثبوت على إسلاميتهم وشواهد نفى ماركسيتهم وطلاقهم إياها طلاقاً بائناً بينونة كبرى ولكى يؤكدوا للمانحين أنهم جديرون بالمنح والعطايا التى سحوها عليها سحاً[١٧].

فماذا فعلوا ؟

جـ - شمروا عن سواعدهم وشرعوا فى نشع [١٨] كتابات إسلامية. ولأن الثقافة إسلامية لا تتأتى لصاحبها إلا بعد دراسة معمقة ومعاناة شديدة ومعايشة طويلة وكان الإخوة الإسلاماركسيون فى عجلة من أمرهم حتى لايغيض بحر النعم أو يجف نهر السخ[١٩] فقد جاءت منشعاتهم[٢٠] تثير الرثاء من جانب والسخرية من جانب آخر، ولما قرأها الناس أشفق عليهم البعض وسخر منهم البعض الآخر ولكن الفريقين ، معا قالا: ليتهم سكتوا . وكان المسلمون والإسلاميون هم الأشد سخطاً عليهم وغمزوهم فى دينهم بل اتهموهم بأنهم دسيسة دخلوا الإسلام حتى يخربوه من الداخل وأن الماركسية مازالت تجرى مع دمائهم فى عروقهم وتعشش في أدمغتهم وتهيمن على وجداتهم

وتسيطر على عقولهم وأنها سممت تفكيرهم ولا فائدة فيهم أو منهم - قالوا هذا وأكثر ولكنهم أبداً لم يغلوا أيديهم عنهم وذلك ولكيلا ينكصوا على أعقابهم ويعودوا أدراجهم ويرجعوا إلى حيث ارتحلوا وهنا تقع الواقعة وتكون فضيحة مدوية.

وإذ أن المجال لايتسع لذكر أمثلة كثيرة لكتابات الإسلاماركسيين النكراء التى جاءت ثمرة مرة لعجلتهم وتسرعهم فإننا نكتفى بالقليل المقنع.

(٤)

(١) دخل روجيه جارودى الإسلام وفرح به الإسلاميون فرحاً شديداً وأتحفوه بـ "جائزة ملكية" كبرى[٢١] أو شطرها مع إن الإسلام ذاته يأمرهم بالتثبت والتأني ومبعث سرورهم أن الرجل كان ماركسياً قيادياً[٢٢] كما كان معدوداً من مفكرى فرنسا البارزين ، ومن ثم فقد عدوا مباينته للماركسية قاصمة الظهر لها ودخوله الإسلام فتحاً مبيناً ونصراً مؤزراً له.

ثم أسقط فى أيديهم وأصيبوا بخيبة أمل فادحة إذ تبين لهم أن هذا الجارودى فهمه للإسلام كفهم رجل صينى للغة الهيروغليفية وغاظتهم طروحاته وأثارت ثائرتهم ولم يجدوا مناصاً من اتهامه بـ (عدم إدراكه التام لحقائق الإسلام أو تشويشها فى ذهنه وأن كثيراً مما قرأه أو اعتقده قبل إسلامه مازال يسيطر عليه)[٢٣] وأنه (ينتزع من الإسلام قدرته على معالجة مشكلات العالم المعاصر وأنه ليس فى استطاعته أن يجد فى ماضيه الحلول للمشكلات المعاصرة سياسية أو اقتصادية أو دستورية أو اجتماعية)[٢٤]. وعن موقف جارودى من رأس المال يقول المؤلف (ولعل الذى أوقع رجاء جارودى فى هذه

الحملة الظالمة على المال والغنى والأغنياء ما ترسب في ذهنه من آثار الشيوعية..)[٢٥].

ولجارودى موقف صارم إزاء أحكام المواريث والحدود موجزه أنها كانت متوافقة مع مجتمع معين وبيئة بذاتها وأنه يتعين إعادة النظر فيها وإذ أن د. ظلام يمثل وجهة النظر الإسلامية التقليدية أو الكلاسيكية التى تسيطر عليها الدوجما أو التصلب الفكرى فقد رفض موقف جارودى (والأعجب والأدهى فى نفس الوقت أن يقول عن الأحكام المتعلقة بالعقوبات والميراث التى وردت فى الكتاب والسنة :إن هذه يجب أن تؤخذ فى سياقها التاريخى على أنها أمثلة تاريخية لتطبيق القيم الإسلامية فى مجتمع ذى ظروف مشروطة وتتغير هذه الأحكام بتغير شروطها استناداً إلى القيم الخلقية الثابتة)[٢٦] .ويضيف الباحث د. ظلام أن جارودى (يرى أنه لاتعارض بين المنهجين الاقتصادى والاجتماعى للماركسية والإسلام. مجلة المصور ١٥ أغسطس ٨٦ صـ٢٦)[٢٧] وقد أثارت هذه العبارة المؤلف ووصفها بأنها (الأنكى والأغرب)[٢٨] لإن أى مقاربة بين الإسلام والماركسية حتى فى مجال المنهجين الاقتصادي والاجتماعي تثير ثائرة الإسلامويين وتفزعهم وتصيبهم بالعصاب والتشنج ويغلقوا آذانهم عن سماع شواهد هذا التقارب وأنه لايمس القصيدة لا من قريب ولا من بعيد وينفرون من مَنْ يقول به كما ينفرون ممن قال كلمة الكفر، ودوافعهم ولاشك في الرفض والنفور أيديولوجية وسياسية وليست دينية.

ثم ينتهى د. ظلام إلى اتهام جارودى علانية وبصراحة بالغة بأنه إذ يدعو إلى خلخلة الثقة بالماضى إنما يدعو إلى (خلع الثقة به ثم يسهل بعد ذلك

فقدان الهوية الإسلامية)[29].

ليس بعد تهمة العمل على إفراغ الإسلام من هويته تهمة، كما أنه ليس بعد الكفر ذنب.

(٢) أما د. محمد عمارة فقد قمنا بدراسة حالته باختصار تركيز في ثلاث مقالات نشرتها لنا جريدة "الأهالي" في ١١و١٨و٢٥ يناير ١٩٩٥.

ولانرى موجباً لتكرار ما جاء فيها ولمن يريد .. فعليه الرجوع إليها.

(٣) أ. محمد جلال كشك - رحمه الله تعالى - كان أكثرهم إنتاجاً ولعله بذلك كان يريد أن يدلل على صدق إسلاميته ومن الصعب تتبع مصنفاته في هذا المجال، ولكننا نكتفي بواحد منها يقطع بصحة الفرضية التي طرحناها وأن صمت الإسلاماركسيين كان أجدر بهم وأن اقتحامهم مجال "الإسلاميات" دون الاستعداد له والتسلح بأدواته كان وبالاً عليهم وعلى الإسلام فقد رأينا كيف أن هذا الجارودي يطلب تجاوز أحكام الحدود والمواريث وإذا بـ جلال كشك يطلع علينا بما هو أنكى وأفظع لإنه يتعلق بمكان يحلم به المسلمون وخاصة من عاشوا في حرمان وفقر ومسغبة وينتظرون أن يجدوا فيه من الملذات والشهوات والأفراح مالاعين رأت ولاخطر على قلب بشر تعويضاً لهم عن كل مالاقوه في الحياة الدنيا - فإذا بالإسلاماركسي جلال كشك يخرج بتفسير يحول الجنة - شوق المحرومين الخالد - إلى مباءة أخلاقية وسلوكية والعياذ بالله تعالى.

أخرج كتاباً يحمل عنوان (خواطر مسلم في المسألة الجنسية) ومن أسف أن لجنة من الأزهر أجازته ، ذكر فيه أنه ليس ثمة ما يمنع من القول بإباحة اللواط في الجنة للمؤمنين مع الغلمان الطائفين عليهم والذين وصفهم القرآن كأنهم لؤلؤ مكنون (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)[30] وكيف

كان ذلك يا مولانا وما علته؟

فيجيب: جزاءٌ لهم على ضبط أنفسهم وتحريمهم عليها ممارسة اللواط فى الدنياوقياساً على ذلك فإن الذين امتنعوا من تدخين الحشيش وتعاطى الأفيون وشم البودرة - فى الدنيا - يغدو من حقهم ارتكاب كل تلك الموبقات فى الجنة!!!

ولك أن تتخيل أن المتقين والصالحين والذين وعدهم ربهم بدخول الجنة والخلود فيها سيتحولون أو شطر منهم إلى مجموعة ، من اللوطية والحشاشين والشمامين والأفيونجية...!!!

وهذا كله نتيجة محتومة كان لابد من وقوعها لإقتحام الإسلاماركسيين ميدان العلوم الإسلامية دون أن يكونوا مؤهلين له.

(٥)

ونأتى إلى د. مصطفى محمود:

قفز قفزة شروداً [٣١] من الإلحاد [٣٢] إلى تفسير القرآن. لقد كان الأخ فى عجلة من أمره، وإنه يهرول بل ويجرى حتى تتقطع أنفاسه ليثبت أنه خلع رداء الإلحاد [٣٣] ولم يجد دليل ثبوت أقوى من تفسير القرآن. ففى شهر مايو ١٩٧٠ أصدرت دار الشروق كتاباً له يحمل عنوان (القرآن محاولة لفهم عصرى) [٣٤]. وكان فى الأصل مجموعة مقالات نشرتها له مجلة "صباح الخير".

وانطبق عليه المثل الشعبى (أول ما شطح [٣٥] نطح). لأن تفسير القرآن يحتاج إلى قدم راسخ فى اللغة العربية ثم فى العلوم الإسلامية عامة وعلوم

القرآن خاصة ونؤكد أن د. مصطفى محمود لم يكن آنذاك قد سمع بتلك العلوم مجرد سماع.

ومن البديهى أن تثير عليه تلك المحاولة الهوجاء ثائرة الكثيرين فى مقدمتهم د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء).

وسأل الشيخ محمود محمد طه - طيب الله ثراه - مستنكراً: كيف يُقْدِم د. مصطفى، على (إصدار كتاب يتحدث فيه عن أدق أصول الدين بغير علم)؟[٣٦]. ووصف الكتاب بأنه كان (شططاً فى طرف التفريط، وشططاً فى طرف الإفراط .. وقولاً فى أدق أمور الدين بغير علم وإنما هى الخواطر الفجة تسجل تسجيلاً وترسل إرسالاً)[٣٧]. وتعقب - نور الله ضريحه - طحّات[٣٨] د. مصطفى النزقة الطائشة وأقواله العامية اللغا[٣٩]. مثل (التحريم فى القرآن ليس لمجرد التحريم ولا التحليل لمجرد التحليل، وإنما تحليل لكل ما هو طيب وتحريم لكل ما هو خبيث) وهو تحصيل حاصل ويذكر من يقرأه بالمثل الشائع (وفسر الماء بعد الجهد بالماء) لإن من البديهى أن الله لايحل الخبائث وبالمقابل لايحرم الطيبات. وطلب الشيخ محمود من الطبيب سابق الإلحاد مصطفى محمود أن يصرف نظره فى نطاق التحريم عن ألفاظ لاتليق بقدسية القرآن مثل (المينى جيب والديكولتيه والجابونيز والبروكات الذهب) الذى تناولها بفهمه الينكوب[٤٠] في مجال التحريم والتحليل وهمس فى أذنه (لابد من العودة إلى جوهر التحريم لفهم الآية)[٤١]، كأنه يقول له: إن تلك الألفاظ الشفشافة[٤٢] لايستحل مؤمن صادق الإيمان أن يوردها فى معرض تفسيره لكتاب الله العزيز حتى ولو تحت راية (العصرية) ولكن من المؤكد أن الطبيب المفسر أو المفسر الطبيب لم يتخلص من رواسب الإلحاد التى تجذرت فى

أعماق نفسه لأعوام طوال فأراد أن يستهزىء بالقرآن بطريقة ملتوية ولكنها مفضوحة.

واستنكر الشيخ محمود - قدس الله سره - أن يُقدم الطبيب سابق الإلحاد على تفسير كتاب الله وهو لايعرف الفرق بين الحلال والمكروه ، ولو أنه فتح أبسط كتاب فى الفقه أو فى أصوله لاستبان له ذلك (وأنت تقول: لذا جعل الطلاق مكروهاً ولكنه ممكن إذا استحالت الحياة.. هذا قولك فى صفحة ١٢٣ وهو قول يحتاج إلى ضبط فى العبارة.. ذلك أن الطلاق حلال ولكنه أبغض الحلال إلى الله)[٤٣].

ولايتسع المجال لسرد كافة المزالق التى تردى فيها الطبيب والمآخذ التى أمسكها عليه الشيخ محمود - عطر الله مرقده - وهو يقرر فى خاتمة كتابه (أنه لم يتحامل عليه "الطبيب مصطفى" حتى العبارات التى يشم منها رائحة العنف فهو لايعتذر عنها)[٤٤] ذلك أنه كان يستحقها وأكثر منها لأنه نزل إلى مضمار لم يكن مؤهلاً للسباق فيه.

* * *

أما الكاتب المفكر د. عاطف أحمد وهو طبيب مثل د. مصطفى محمود فقد تناول الكتاب من الزاوية العلمية وأبان عوارة فيها ، وأنه حتى من هذا الجانب فهو خالٍ من أى قيمة علمية والمقصود هنا "العلمية التجريبية" وإذ أن هذا الشق يند عن موضوع بحثنا هذا فإننا نكتفى بفقرة فيها الغناء والإقناع من كتاب د. عاطف، القيم العميق الذى يستحق القراءة المتأنية وعنوانه (نقد الفهم العصرى للقرآن).

يقول المؤلف ليس صحيحاً ما يذهب إليه مصطفى محمود من أن القرآن يشير إلى المسائل العلمية بأسلوب الإشارة والرمز والمجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة والعبارة التى تومض في العقل كبرق خاطف وأنه يلقى بكلمة قد يفوت فهمها على معاصريه لأنه في التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمة ويثبتها تفصيلاً ، إذ ما حاجة القرآن إلى الرمز والمجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة فى مسائل هى بحكم طبيعتها لاتقبل الرمز ولا المجاز ولا اللمحة الخاطفة؟

(إن الحديث فى مسألة علمية لايكون إلا بلغة العلم)[٤٥].

وهكذا يثبت أنه بجانب نضوب معين د. مصطفى محمود من الثقافة الإسلامية فإنه كان يمخرق ويشعبذ فى الشق العلمى التجريبى الذى حاول إلصاقه بـ "القرآن".

(٦)

وأخيراً نصل إلى أ. عادل حسين فهو حالة قائمة بذاتها:

فهو علاوة على أنه أقصر الإسلاماركسيين باعاً فى معرفة العلوم الإسلامية ومحصوله منها مهزول ورصيده منها معدوم أو شبه معدوم، فإنه حاول استخدام الإسلام أو بمعنى أدق شارة الإسلام التى وضعها على صدره لتحقيق طموحاته السياسية وتطلعاته الشخصية التى عجز عن الوصول إليها وقت أن كان ماركسياً لإنه كان فى الصفوف الأخيرة منها وكانت فيها قامات عملاقة حجبت قامته القصيرة ورمته فى الظل.

يتتابنى الأسى عندما أقرأ مقالاته التى ينشرها فى جريدة الشعب والتى يحاول جاهداً إضفاء صبغة إسلامية عليها على طريقة «القص واللزق» فيأتى فى ختامها بآية قرآنية متوهماً بذلك أنها احتازت السمة الإسلامية، ووجه الأسى أن هذا العمل الغرير يظهر كأن فتاة لبست «هوت بيكينى» ووضعت على رأسها غطاء الرأس «المشهور بطريق الخطأ ب الحجاب» لتثبت للإسلاميين أنها غدت منهم.

ويذكرنى هذا الصنيع بواقعة طريفة قصها الكاتب الصحفى الساخر الصديق أ. صلاح عيسى [٤٦]: فى أيام عبد الناصر كان يعمل فى جريدة الجهورية[٤٧]. فكان رئيس تحريرها يكتب افتتاحية العدد الأسبوعى (الخميس) ويرسله إلى أ. صلاح ويرفع سماعة التليفون ويقول له: «لو سمحت ياصلاح رُش عَ المقال شوية ططش اشتراكى» وبالمثل يتوهم أ.عادل حين أنه بالآية التى يلحقها فى مختتم مقالته أنه أعطاها نكهة إسلامية بعد أن رشّ عليها «ططش إسلامى»[٤٨]. ويزداد الأسى ويتضاعف بأن سنحت الفرصة ل أ. عادل حسين بتوليه رئاسة تحرير الشعب ليحقق طموحاته السوابق التى أخفق فى تحقيقها أيام الماركسية وليثبت لكل من يهمه الأمر أنه أصبح إسلامياً مكتياً فأخذ يزايد مزايدة رعناء على الإرهاب والإرهابيين ويقف بجانبهم ويناصرهم بالباطل ويؤيدهم فى كل ما يفعلونه حتى ولو قتلوا الأبرياء والغافلين والأطفال ويبرر لهم كل مايفعلونه بدون استثناء ولم يحدث ولو لمرة واحدة أن انتقدهم فى أى فعل ارتكبوه وهو بذلك رفعهم فوق مصاف الأنبياء لإن الله جل جلاله عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما انصرف عن ابن أم مكتوم إلى صناديد قريش وعندما قبل الفداء فى أسارى بدر... الخ.

فكيف يكون الإرهابيون على حق دائماً ولم يخطئوا مرة واحدة إلا إذا كان ذلك من قبيل المزايدة الرخيصة!!!

ولايدرى أ. عادل حسين إن «الجماعات» التى يُجَمّشها[٤٩] بعباطة[٥٠]، تعرفه وتعرف الحزب الذى ينتمى إليه حق المعرفة ولاتجوز[٥١] عليها مقالاته التى يحرص على أن ينهيها بـ «طظش» إسلامى:

.. يظل (= حزب العمل) جمعه الغريب بين الناصرية والإسلام وتبنيه للمواقف المختلفة دون أساس شرعى واضح يثير علامات استفهام كثيرة؟

ويظل ترشيحه لبهجة ميخائيل الراهب تلميذ الأنبا شنودة وتعيينه لجمال أسعد مساعداً لأمين اللجنة التنفيذية للحزب ومرشحاً على الدوام على رأس قوائمه يضاعف من علامات الاستفهام.

هل يستغل حزب العمل الدين لتملق مشاعر الجماهير وتحقيق تقدم فى اللعبة الانتخابية؟ أو أنه مازالت لديه التشوهات الفكرية التى كانت فى حزب مصر الفتاة التى تجعله بعيداً عن الإسلام النقى؟)[٥٢].

وعلى مستوى التزام أ. عادل حسين بالإسلام فى مسلكه فإن «الجماعات» أيضاً تعلم علم اليقين الحقيقة وهى لاتفرق فى خصوصية من يتصدى للقيادة فى الحركة الإسلاموية بين القول والعمل أو بين الكتابة أو الخطابة والسلوك انطلاقاً من الآيات الكريمة الكثيرة فى هذا الباب منها على سبيل المثال:

«أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»[٥٣] «كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون»[٥٤]:-

قرأت فى جريدة «النور» خطاباً يذكر فيه كاتبه أنه شاهد فى إحدى قنوات التلفاز الأجنبية برنامجاً أعد عن «رموز» الإسلام فى العالم العربى وكانت

الحلقة موضوع تعليق القارىء عن أ. عادل حسين ،وبعد الفراغ من الأسئلة قال له المذيع «الفرنجى» اسمح لى أن أسالك: كيف وأنت من زعماء الإسلام فى مصر تظهر زوجتك وابنتك سافرتين وبملابس مودرن [55] ولاتضعان «الحجاب» على رأسيهما ؟

فأجاب أ. عادل حسين:

«الحجاب» ليس من فروض الإسلام بل من العادات الاجتماعية ويتوافق مع طبقة المرأة أو الفتاة التى ترتديه أو ترفض ارتداءه. أ.هـ.

هذه الإجابة هى التى أثارت القارىء وتساءل بغضب:

كيف يكون مسلك «جماعة» أحد حماة حمى الإسلام فى عموم ديار الموحدين بهذه الصورة وبدلاً من أن يعتذر عن ذلك إذا به يدافع عنه ويبرره. ولم يكتف أ. عادل حسين باتخاذ جريدة الحزب «الشعب» مطية لأغراضه بل نجح فى تحويل حزب العمل الاشتراكى ذى التاريخ الطويل إلى مجرد «فصيل إسلامى» [56] ولم يعبأ بما جره ذلك على الحزب من متاعب أو غضب قدامى المؤسسين الذين شاركوا الزعيم أحمد حسين - رحمه الله - فى إنشاء الحزب.

* * *

تلك كانت فرشة [57] لازمة قبل أن نتناول بالتعقيب والتعليق أو التحشية ماجاء على لسان أ. عادل حسين [58] فى المناظرة التى جرت بينه وبين د.رفعت السعيد بمقر حزب التجمع يوم السبت ٢٥ فبراير ١٩٩٥م.

بداية أختلف معهما فيما عرفا به «المناظرة» وأنها تعنى المشاجرة واللجاجة ولا أدرى من أين جاءا بذلك وما هو مصدرهما ؟ إن العكس هو

الصحيح فأساس الكلمة إما «نظر» وهو تأمل الشيء بالعين أى كل متكلم ينظر إلى الآخر وهنا ننتقل إلى تصريف «المفاعلة» مثل المكالمة والمداعبة أي يتبادلان النظر، أو أن يريد كل متكلم أن يغدو «نظيرا» لأخيه ومنه قول الزهرى: (لاتناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لاتجعل شيئاً نظيراً لهما.

مع الوضع فى الحسبان ما تطبق عليه قواميس اللغة أن النظائر هم الأفاضل والأماثل[٩٥].

أما اللفظ الذى يحمل المعنى وهو مقصود الدكتور رفعت ثم حظى بتأييد أ. عادل هو «المناقرة» من الفعل «نقر» أى ضرب وعاب وتعقبه حتى أجهز عليه وأهلكه ومنه قول حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما (ما كان الله لينقرعن قاتل المؤمن) أى ما كان الله ليكف عنه حتى يهلكه[٦].

إذن هى «المناقرة» التى تعنى المشاجرة واللجاجة بل والأكثر منهما لا المناظرة.

ولكن - فى نظرنا - ماجرى بين د. رفعت وأ. عادل لايعدو أن يكون «مسامرة».

* * *

قد لايكون مهماً من وجهة نظر البعض أن يتحدث أمين عام فصيل إسلامى بما تم رصده فى صفحة كاملة من جريدة الأهالى ولايستشهد بآية واحدة من القرآن الكريم أو حديث نبوى أو قول مأثور عن صحابى أو إمام أو فتوى فقيه أو واقعة من التاريخ الإسلامى مع أن الإسلامويين يؤكدون أن القرآن حوى كل شيء تفسيراً مغلوطاً منهم لآية (ما فرطنا فى الكتاب من شيء)[٦١].

وهم يريدون أن يحققوا حكماً [illegible]ين وتشيىء على أرض الواقع لعدة قرون!!

ولكن الذى لايمكن أن يتجاوزه كل من قرأ أو سمع كلام أ. عادل حسين أنه خلا من الروح الإسلامية بمعنى أن مّا طرحه يمكن أن ينسب إلى شخص آخر علمانى أو دنيوى بحسب تعبيره فى مقالاته.

فماذا يعنى هذا؟ وعلام يدل؟

الجواب ليس فى حاجة إلى كبير ذكاء أو إلى قدر من فطنة.

هو يعنى أو يدل على أن ادعاء أ. عادل حسين «الإسلامية» والحماس إلى الإسلام ينقضه الدليل أو بعبارة أدق قدم هو مشكوراً أدلة النفى عليه.

إذن كيف تصح فى العقل إسلامية شخص يثبت هو نفسه أنه لايعرفه ولايفقه عنه شيئا[٦٢].

* * *

أ. عادل حسين أقر أن حزب العمل فصيل إسلامى وهو أمينه العام فإذا قلنا إن أ. إبراهيم شكرى هو أميره، كان أ. عادل حسين أحد القياديين فيه وأحد أعضاء مجلس الشورى فيه (وخصائص رجل الشورى: الإحاطة بالكتاب والسنة مع الوعى والتجربة والتحقق ومعرفة العصر وأهله، وفى الأثر: كان القرّاء أصحاب مجلس عمر شيوخاً أو شباباً أى أصحاب مجلس شواره) [٦٣].

فهل ما أدلى به أ. عادل فى المناظرة يدل من قريب أو بعيد على إحاطته بالكتاب والسنة أو حتى على معرفة يسيرة بأى منهما؟

أو أن المسألة لاتعدو أن تكون ألقاباً تحمل ولافتات تعلق بالحق أو بالباطل! وهذا أهم أحد أسباب ارتكاس الحركات المعاصرة وترديها وتحولها من إسلامية إلى إسلاموية، ولهذا (يكاد يجمع كل الدارسين لأوضاع

الحركات. الإسلامية المعاصرة فيها على أن هذه الحركات لم تستطع تأمين الملاك القيادى لتغطى عملها ولم تستطع أن ترفع الكثير إلى المستوى القيادى الرفيع)[٦٤].

* * *

قال إن التعددية فريضة إسلامية وهو قول لم يسبقه إليه أحد لا في جاهلية ولا فى إسلام ، ويبدو أنه مبهور بالعبارة الإنشائية الفطيرة وغير المنضبطة التى أطلقها أ. عباس محمود العقاد (التفكير فريضة إسلامية) وجعلها أحد عنوانات كتبه ، فالمؤمن والكافر يقر أن الإسلام هو (دين التوحيد) ومضاد للتعددية ولو أنه يقبل التعددية حتى بصفتها نافلة لآمن به مشركو قريش والجزيرة العربية ولما حاربوه (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب)[٦٥]، الإسلام ديانة التوحيد: الإله واحد والرسول واحد والكتاب واحد والقبلة واحدة، بعكس الديانتين الإبراهيمتين اللتين سبقتاه فى التاريخ لافى الرتبة[٦٦]، فالديانة اليهودية تتعدد فيها الكتب والرسل والمسيحية تتعدد فيها الآلهة أو الأقانيم وكذلك الرسل[٦٧] فمن أين أتى أمين عام فصيل العمل الإسلامى بمقولة التعددية فى الإسلام؟ ولا يكتفى بذلك بل يرفعها إلى مقام الفريضة مثلها فى ذلك مثل الصلاة وصوم رمضان والزكاة والحج!!!

* * *

وأنكر أن الجماعات الإسلاموية خرجت من عباءة الإخوان المسلمين، وهو بذلك ينجس الأخيرين حقهم في الإمامة والقيادة والريادة، وما هكذا يفعل الحليف بحليفه، وخروج الجماعات من كم عباءة الإخوان حقيقة أطبق عليها

الباحثون على بكرة أبيهم، سواء كانوا من العرب أو العجم (المسلمين) أو الفرنجة، وكان عليه أن يقدم الدليل على نفيه لهذه الحقيقة التاريخية لأن من ينكر ما عليه الإجماع يتوجب عليه أن يطرح حجته وهذا من بديهيات الأصول: أصول الدين وأصول الفقه.

وأ. عادل حسين فى هذه الخصوصية إما أنه لم يقرأ عن الحركات الإسلامية المعاصرة، وأما أنه يلجأ للملاحاة والمنازعة دون وجه حق.

وما كتب عن تلك الحركات ميسور وغزير ومتعدد ومنها ما هو مؤلف بالعربية مباشرة ومنها ما هو مترجم عن الفرنجة ونستبعد أن مثله يجهلها وسنكتفى بإيراد ما يؤكد هذه الحقيقة بإيجاز ومن أقرب المصادر وأيسرها.

معروف لمن درسوا أبجديات تلك الحركات أن أهمها أربعة:

جماعة المسلمين المشهورة إعلامياً بـ "التكفير والهجرة" شكرى مصطفى وجماعة صالح سرية "الفنية العسكرية" و"الجماعة الإسلامية" وأخيراً "تنظيم الجهاد" الذى نفذ حادثة المنصة.

أ. جماعة المسلمين "التكفير والهجرة":

"حين كان اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة يجرى حواراً مع من تبقى من الإخوان المسلمين عام ١٩٦٩ فخرج عليه ١٣ شاباً، يقودهم شاب تقول الدراسات المتوافرة أنه كان غريب الملامح والنظرات، وقال له: أرفض الحوار معك لأنك كافر وحكومتك كافرة وكان هذا الشاب هو شكرى أحمد مصطفى، وكان الـ ١٣ شاباً هم النواة الأولى لجماعته التى أسماها بـ "جماعة

المسلمين" وعرفت إعلامياً بـ "جماعة التكفير والهجرة"(٦٨).

إذن قيادة جماعة المسلمين "التكفير والهجرة" الـ ١٣(٦٩) شاباً هم أصلاً من جماعة الإخوان ثم كونوا هذه الجماعة فكيف إذن لم يخرجوا من عباءتها ؟؟

ب - جماعة صالح سرية (الفنية العسكرية):

نشأ صالح سرية في مدينة حيفا بفلسطين ، وانتمى في سنوات شبابه الأولى إلى حزب "التحرير الإسلامي" الذي أنشأه تقي الدين البنا في عام ١٩٥٠ كرد فعل لهزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨ ، ويقال كرد فعل لاغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين وأن ثمة علاقات وثيقة كانت تربط هذا الحزب بالإخوان في حرب ١٩٤٨)(٧٠).

هذه العبارات لاتترك مجالاً لأي شك في الصلة الحميمة بين حزب التحرير الإسلامي الذي انبثقت عنه جماعة صالح سرية وبين جماعة الإخوان المسلمين ولم يفطن الباحث د. رفعت سيد أحمد إلى التناقض بين إنشاء الحزب في العام ١٩٥٠ و التعاون بين الجماعتين في حرب ١٩٤٨ - وكيف يكون إنشاء الحزب تم في العام ١٩٥٠م وكان هناك تعاون بينهما قبل ذلك بعامين.

ولكن أ. هالة مصطفى تؤكد أن صالح سرية (انتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين قبل أن يرتبط بحزب التحرير الإسلامي)(٧١) وإن مغادرته الإخوان وانضمامه لحزب التحرير الإسلامي كان (تمرداً على النهج التقليدي للجماعة في العمل السياسي)(٧٢) ثم تلقي الضوء أو مزيداً منه على علاقة صالح سرية بـ الإخوان فتقول: (وكان صالح سرية قد انضم إلى تشكيلات الإخوان بالعراق

حين بلغ من العمر الخامسة عشرة وكان أحد قيادات الإخوان المسلمين المعلنة في العراق بعد توجيه الضربة للإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٦٥[٧٣].

وكشفت الباحثة عن دور خطير قام به صالح سرية إبان إقامته في العراق لصالح جماعة الإخوان المسلمين: (وكان على علاقة شخصية بالأكراد نتج عنها اتفاق سري بينهم مؤداه أن ينضم الأكراد إلى جماعة الإخوان المسلمين في حالة نجاح حركة الإخوان في العراق)[٧٤].

وكما يقول المثل العربي "قطعت جهيزة قول كل خطيب" ولم يعد هناك مجال للشك في انتماء جماعة صالح سرية للإخوان المسلمين.

ج - الجماعة الإسلامية:

وبدأت الجماعات خلال ١٩٨٠ في تنسيق أعمالها على المستوى القطري وأقامت اتحاداً أعلى أطلقت عليه "الجماعة الإسلامية".. (ومن الجدير بالذكر أن أصحاب المناصب الكبرى في هذا الاتحاد مثل الدكتور على الجزار "الأمين العام" أو أمير الأمراء ومحمد عبد القدوس السكرتير العام والدكتور عصام العريان "أمين الصندوق" كانوا من كبار المتحدثين في الاجتماعات المناهضة للأقباط..)[٧٥] ومعروف أن كلاً من الجزار والعريان وعبد القدوس من الإخوان.

ويؤكد الباحث أن عصام العريان كان (على معرفة وثيقة بكل من عبود الزمر وطارق الزمر وكان ناجح إبراهيم أمير الجماعة بأسيوط هو قائد الهجوم الشهير على مبنى مديرية الأمن بالمدينة والصدام المسلح مع الجيش يوم

٨/ ١٠/ ٨١)[٧٦]. وتضيف أ. هالة مصطفى إلى ذلك معلومات شديدة الأهمية وتلقى الضوء على أسلوب جماعة الإخوان فى العمل والتعامل مع الجماعات وهو الأمر الذى ينفيه علانية المتنفذون فيها من باب "التقية" (فقد كانت هناك محاولات دائمة من جانب جماعة الإخوان المسلمين لاحتواء الجماعة الإسلامية حتى أن البيانات والمنشورات التى كانت تصدرها الجماعة فى فترة مبكرة كانت تصطبغ بالصبغة "الإخوانية" وهذا يدلل على أن الإخوان نجحوا محلياً فى احتواء الجماعات الإسلامية فى هذه الفترة أى فترة السبعينيات)[٧٧].

وبعد هذا يغدو على الإسلاماركسى أ. عادل حسين ألا ينكر أن ولادة "الجماعة الإسلامية" كانت على أيدى دهاقنة الإخوان المسلمين.

د- تنظيم الجهاد:

(تعود جذور هذا التنظيم إلى جماعة الفنية العسكرية التى تم الكشف عنها فى ١٩٧٤ - ويمكن اعتباره أحد حلقات تطورها التى مرت بمرحلتين الأولى عام ١٩٧٧ .والأخرى عام ١٩٧٩ وقد تشكل التنظيم الأول على يد اثنين من أعضاء الفنية هما سالم الرحال وكان طالباً بجامعة الأزهر وأردنى الجنسية وحسن حلوى بعد أن تمكنا من الهرب)[٧٨] أما د. رفعت سيد أحمد فيقول: (تعود نشأة جماعة الجهاد الإسلامى التى أسس نواتها المهندس محمد عبد السلام فرج إلى عام ١٩٧٩. وهى تعد الحلقة الثانية المهمة فى حلقة جماعات الجهاد فى مصر خلال حقبة السبعينيات، ولقد مثلت جماعة عبد

السلام فرج نقطة التقاء ثلاث جماعات كانت تعمل متباعدة قبل عات ١٩٨٠ وهي فضلاً عن جماعته ، جماعة كرم زهدي بوجه قبلي وجماع قسالم الرحال الأردني الجنسية الذي تولى كمال السعيد قيادتها بعد هروب الرحال إلى الأردن)[٧٩].

إذن تعود جذور تنظيم الجهاد إلى تنظيم صالح سرية (الفنية العسكرية) وأحد روافده المهمة التي شاركت في تأسيسه هو جماعة سالم الرحال الأردني الجنسية والذي حل محله في القيادة كمال السعيد حبيب.

وتؤكد نعمة الله جنينة ذلك، (وقد تأسس التنظيم الثاني في نفس الوقت الذي أسس فيه محمد عبد السلام فرج تنظيمه، وكان رئيس هذا التنظيم محمد سالم الرحال الذي كان طالباً بجامعة الأزهر وهو أردني الجنسية. وقد انتقلت قيادة هذا التنظيم بعد طرد الرحال من مصر إلى كمال السعيد حبيب الذي كان قد تخرج في جامعة القاهرة ونال درجة الاقتصاد وكان عمره ٢٤ سنة ،وقد ظل حبيب الذي التزم بأفكار الرحال رئيساً للتنظيم إلى أن قدمه طارق الزمر إلى محمد عبد السلام فرج ،وقد انضم حبيب مع العديد من أعضاء مجموعته إلى تنظيم محمد عبد السلام فرج[٨٠].

ولاخلاف على علاقة الرحال بتنظيم صالح سرية أو الفنية العسكرية وصلة الاثنين بـ "حزب التحرير الإسلامي" في الأردن (ولقد ألقت وسائل الإعلام اللوم على "حزب التحرير الإسلامي" الأردني، في إنشاء تنظيم الرحال وكانت مجموعة الفنية العسكرية قد أطلقت على نفسها اسم "حزب التحرير الإسلامي")[٨١] وسبق أن أوضحنا صلة صالح سرية بالإخوان المسلمين وانضمامه إليهم (وتجدر الإشارة إلى إن صالح سرية كان أحد أعضاء الإخوان

المسلمين فى الأردن ثم انضم لحزب التحرير الإسلامى)[٨٢].

إذن اعتبار "تنظيم الجهاد" أحد فروع جماعة الإخوان المسلمين حقيقة أيدتها الدراسات الجادة الرصينة.

وذكرت هالة مصطفى إن (كثير من الباحثين يؤكدون على الصلة بين جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الراديكالية)[٨٣] وذكرت من بينهم د. سعد الدين إبراهيم.

فهل نطمع أن يعلن أ. عادل خطأه فى إنكاره خروج "جماعات العنف" من كم عباءة جماعة الإخوان كما أعلن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على المنبر والألوف تسمعه في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام. خطأه فى مسألة المهور، أم لايفعل مؤكداً بذلك إسلاماركسيته؟

وأبدى أ. عادل حسين ارتياحه بعبارات تشى بالزهو والافتخار لتعدد فصائل الحركة الإسلامية لا فى أقطار العالم الإسلامى، بل فى القطر الواحد وضرب لذلك أمثلة، ثم اعتبر ذلك علامة صحة لاعوارض مرض ومرض خطير، وهذه ليست خيبة بالويبة[٨٤] فحسب بل هى طامة كبرى لأنها تدل على أمرين:

أولهما: إن أ. عادل حسين رغم مفارقته للماركسية منذ ربع قرن فإنه لم يتمثل روح الإسلام بل لم يفهمها إذ الإسلام يؤكد على الوحدة (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)[٨٥]. (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)[٨٦]. بل إن الله جل جلاله فصم رسوله عليه الصلاة والسلام عمن يختلفون ويتفرقون ويتشرذمون (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء)[٨٧]. وحض المسلمين على الوحدة والابتعاد عن التنازع (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)[٨٨]، وعاب القرآن الكريم على بنى

إسرائيل تفرقهم واختلافهم وامتن سبحانه وتعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أن ألف بينهم (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)[٨٩].

واعتبر الرسول عليه السلام تنازع المسلمين وتفرقهم (الحالقة) التى تحلق الدين أى تستأصله من جذوره.

فكيف يفرح الإسلاماركسى أ. عادل حسين ويزهو بتعدد فصائل الحركة الإسلامية؟

آخرها: إنه لم يقرأ حرفاً واحداً مما كتبه جلهوم[٩٠] المنظرين للحركة الإسلامية ، منهم على سبيل المثال: حسن البنا - المودودى - الندوى - سيد قطب - سعيد حوى - محمد قطب - القرضاوى وصديقاه الحميمان :الترابى والغنوشي في ضرورة توحد الحركة الإسلامية لا فى المصر الواحد، بل فى الأمصار الإسلامية جميعها، ونظراً لضيق المجال فإننا نورد نتفاً مما ذكره سعيد حوى وهو أحد كبار الإخوان المسلمين فى سوريا وأحد كبار المنظرين المعاصرين[٩١] ومن الذين يعتبرون كتابات حسن البنا (تنزيلاً من التنزيل):

(إننا ندعو المسلمين في العالم وفى كل قطر ليشكلوا جماعة واحدة .. يجب أن يكون المسلمون فى القطر وفى العالم الواحدة جماعة واحدة .. إن الاقتناع بهذا هو المقدمة العادية لجماعة واحد فى القطر الواحد والعالم الواحد)[٩٢]. وسعيد حوى - وشتان ما بين فهمه للإسلام وفهم الإسلاماركسى أ. عادل حسين - يتوجع للتعددية التى ضربت الحركة الإسلامية وأصبحت من سماتها المميزة وشاراتها الفارقة لانقول فى القطر الواحد بل فى القرية الواحدة، والقارىء يسمع أنينه بل نواحه حين يسطر (كلما اجتمع عشرة منهم

ظنوا أنهم جماعة المسلمين ، واعتبروا حل مشكلة المسلمين بأيديهم فنجد في القطر الواحد عشرات الفئات لايربطها رباط جامع)[٩٣] وحوى يقرر بحسم حاسم (إن المفاصلة ينبغي أن تتم بين المسلمين وغيرهم من ليسوا مسلمين)[٩٤]، أي هو لايتصور وجود مفاصلة بين المسلمين على الإطلاق، ثم يعقب ذلك بالدرس الثالث وعنوانه : في ضرورة البحث عن الصيغ التنظيمية من أجل الحركة الإسلامية الواحدة.

وفيه يرسم الخطوات التي تؤدي إلى توحيد الحركة الإسلامية. هذا مثل لما يؤكده جهابذة المنظرين للحركة الإسلامية، ومن ثم فإن ما ذكره الإسلاماركسي أ.عادل حسين (والتعددية الإسلامية تعني أنه في داخل الأصول الإسلامية الواحدة التي توجه حركة المسلمين جميعا ومعتقدات المسلمين جميعا ، فإن مجال الاختلاف في الاجتهادات في إطار هذه الأصول بلا نهاية. أ.هـ ."من نص المواجهة التي نشرتها جريدة الأهالي أول مارس ١٩٩٥م) يغدو مناقضاً تمام المناقضة لما استقر عليه إجماع أولئك المنظرين.

هذا بالإضافة إلى الأخطاء الفادحة التي حوتها هذه الفقرة القصيرة، الأمر الذي يؤكد أن الأخ الإسلاماركسي أو الإسلاماركسي الأخ أ. عادل حسين بعيد عن فهم الإسلام بُعد الصين عن مراكش:

فما هي الأصول الإسلامية الواحدة؟ وما المقصود بها ؟.وهل هي أصول الدين أم أصول الفقه؟.وهل هناك اختلاف في معتقدات المسلمين؟ هل هناك اختلاف بينهم في مسائل الألوهية والنبوة فالبعث والجزاء أو الحساب والجنة والنار... ؟ أم أن الاختلاف حدث في فروع العبادات وفي المعاملات !!! ومتى حصل ذلك في تاريخ الإسلام؟. سواء بشكل خاص أو بشكل عام كما يزعم أ.

عادل حسين، ولماذا لم يضرب مثلاً واحداً يتيماً من التاريخ الإسلامى ليعطى كلامه ولو نكهة ضئيلة من المصداقية، أم أن مخزونه من العلوم الإسلامية ومن التاريخ الإسلامى لا يسعفه؟

* * *

وعرف اصطلاح "الصحوة الإسلامية" بأن:

(جماهير الأمة ونخبها الشابة أفاقت من غيبوبة طويلة وفى ضوء كل التجارب عادت إلى تبين الحقيقة. أ.هـ).

وهو تعريف علاوة على أنه عائم وغائم وتعوزه الدقة - إذ ما هى النخب الشابة ومن قال قبل أ. عادل حسين إن النخب تكون شابة ولو فتح أى كتاب في علم الاجتماع - وخاصة علم الاجتماع السياسى - أو حتى أى قاموس أو معجم في علم الاجتماع - لاتضح له خطأه الفاضح.!

وماذا يقصد بالنخب : هل هى النخبة السياسية أو المالية أو الاجتماعية؟ وإذ حدد النخب بـ "الشابة" فهو يعنى إذن خريجى الجامعات الذين لاطاقة لهم بكتابة جملة صحيحة[٩٥].

وماذا يقصد بـ "جماهير الأمة"؟ وهل هو تطور فى أفكار إسلاماركسيين نحو القاعدة الجماهيرية العريضة فقد رأينا أحدهم يؤكد أن هؤلاء غوغاء وأن الإسلام لايعبأ بهم إذ لايعبأ بالغوغاء إلا الغوغائيون.

وماهى الغيبوبة التى كانت النخب الشابة والجماهير سادرة فيها وأفاقت منها ولماذا لم يحددها؟ ألم يكن هو أحد المشاركين فى صنع تلك الغيبوبة - هذا مع التسليم الجدلى بأنها كانت غيبوبة - عندما مر بالحقبة الوسيطة حقبة

القومية/ الناصرية حسبما اعترف في مفتتح حديثه - وهل يجوز فى ميزان الإسلام الحديث عن عهد كان مشاركاً فيه بأنه كان يغيب المواطنين ويُبنجهم[٩٦]، أما كان أجدر به أن يحكى كالمنصفين عن السلبيات والإيجابيات والمناقب والمثالب!!!

وماهى تلك التجارب التى مرت عليها ولماذا أغفلها الإسلاماركسى ولم يذكرها لتعرف كنهها ؟

وما هى الحقيقة التى عادت إلى تبنيها ؟ ولماذا يجنح دائماً إلى التجهيل والتنكير ؟ ثم بعد هذه الاستطرادة نقول إن التعريف عائم وغائم لأنه ينطبق على كل صحوة فإذا استبدلت بـ "الإسلامية" اليهودية أو المسيحية أو البوذية لما اختلف الأمر لا فى قليل أو كثير.

وسبق أن قلنا للإخوة الإسلامويين أو الإسلامويين الإخوة إن مقولة "الصحوة الإسلامية" التى تلوكها ألسنتكم فى كل مقال ومحفل خرافة كالغول والعنقاء[٩٧] والخل الوفى.

وسألناهم أين هى هذه الصحوة.وكيف تكون، وما من دولة من دول العالم الإسلامى حتى ذات الدخول الأسطورية إلا وتندرج تحت خانة العالم الثالث بل إن هذه الدول بالذات تلجأ إلى الفرنجة ممن هم على غير دينها إلى حماية أراضيها وبأى مقياس يكون العاجز عن حراسة نفسه صاحياً؟

وكيف تكون هناك صحوة دون تصنيع ثقيل وتكنولوجيا متقدمة ودون القضاء على الأمية التى تصل فى بعض أمصار الصحوة المزعومة إلى ٩٠٪

والأهم من ذلك الانعتاق من سلطة النصوص وهيمنة الغيبيات والماورائيات والمسطورات التي تكبل العقل وتقيده وتسجنه!!

* * *

ونكتفي بهذا القدر من "التحشية" على ما جاء على لسان الإسلاماركسي أ. عادل حسين في "المواجهة" وفي تعقب أهم السقطات التي ترنح فيها ولعلها تكون قد وفقت في إظهاره على حقيقته وإثبات أن ثوب "الإسلامية" الذي يحاول هو وعصابة[٩٨] الإسلاماركسيين التلفع به فهو شف[٩٩] لايخفي ما هو خلفه ، وقد آن الأوان أن يقلعوا عن هذا الدور البهلق[١٠٠].

نحن لانطلب منهم أن يعودوا أدراجهم إلى حنجهم وبنجهم[١٠١] ولكن ندعوهم إلى أن يصدقوا مع الله مع أنفسهم ومع مواطنيهم، وأن يقولوا للناس حسناً كما أمروا، و أن يعرفوا أقدارهم حق قدرها وأن يلزموا غرز[١٠٢] الإسلام الصحيح.

الهوامش

(١) يؤكد أ. خالد محيي الدين أن د. مصطفى محمود لم يكن ماركسياً ، إنما كان ملحداً يجاهر بإلحاده، ولكننا تقصينا الأمر فشهد عدد من الرفاق الماركسيين أنه كان منهم وبالتحديد في منظمة (ح د ي ت و) وكان يعلن إلحاده ويجلس على مقهى ايزائيفتش بميدان التحرير ويسخر من الإسلام ويتهكم على القرآن ويتطاول على الرسول - عليه الصلاة والسلام - فأنذرته المنظمة أكثر من مرة بالكف عن ذلك فلما لم يمتثل فصلته، ولعل أ. خالد التقاه بعد فصله وعدم انضمامه لمنظمة ماركسية أخرى فظن أنه لم يكن ماركسياً ومجرد ملحد نزق يتباهى بإلحاده ويعتبره دليلاً على تقدميته وعقلانيته واستنارته.

(٢) كان صهيب قد أسلم قبل ذلك وكان من السابقين الأولين وترحيب الرسول عليه السلام به لمناسبة هجرته دار الكفر والتحاقه بدار الإيمان.

(٣) د. مصطفى محمود "لماذا رفضت الماركسية - حوار مع خالد محيي الدين - ص٦٤ - الطبعة الثانية - المكتب المصرى الحديث - القاهرة.

(٤) ذاته ص ٤٠.

(٥) ذاته ص١١.

(٦) ذاته ص ١٢.

(٧) ذاته ص ٣٣

(٨) ذاته ص٣٥

(٩) فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية / الزغلة من الشراب قدر ما يملأ الفم .وفى القاموس المحيط للفيروز آبادى/ أزغل لى زغلة من إنائك· صب لى شيئاً.

(١٠) فى المعجم الوسيط/ الهف: الخفيف من الناس وفى القاموس المحيط هو كل خفيف لاشيء فى جوفه.

(١١) هذا التوصيف يدل على النزول إلى الفقر أكثر من مقاربة الغنى.

(١٢) فى المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية - الجزء الثانى - حرف الباء - البُلَهنية : الرخاء والسعة.

(١٣) الآية الستون من سورة التوبة.

(١٤) قاله الرسول عليه السلام في غزوة حنين.

(١٥) في المعجم الوسيط / اللظى: لهب النار الخالص لادخان فيه - وفي القاموس المحيط / اللظ: الرجل العسر المتشدد ، وعلى ذلك لأيجد اللظى أي لايملك ثمن الوقود لداره، والعامة في مصر تنطقها بالضاد أي اللضى.

(١٦) د/ عبد الستار إبراهيم (الإنسان وعلم النفس) صـ ١٨٦ - العدد / ٨٦ من سلسلة عالم المعرفة الكويتية - جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ فبراير / شباط ١٩٨٥م.

(١٧) في القاموس المحيط/ السح الصب والسيلان والتسحح أن يسمن غاية السمن.

(١٨) في المعجم الوسيط / النشع: الماء الذي خبث طعمه.

(١٩) في القاموس المحيط السخ بالضم: اليمن والبركة.

(٢٠) في المعجم الوسيط / المنشع: وعاء النشوع.

(٢١) القصد منها منافسة جائزة نوبل وحتى يكون العرب والمسلمون نداً للفرنجة النصارى!!!

(٢٢) كان روجيه جارودى عضواً في اللجنة المركزية بـ "الحزب الشيوعي الفرنسي".

(٢٣) د/ سعد عبد المقصود ظلام (لا..لجارودى) ص ـ٨ - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ دار المنار القاهرة.

(٢٤) ذاته صـ ٥٩.

(٢٥) ذاته صـ٥٧.

(٢٦) ذاته صـ٦٢ - ما جاء على لسان جارودى نشر بمجلة المصور١٥ أغسطس ١٩٨٦ صـ ٢٦.

(٢٧) ذاته صـ ٦٣.

(٢٨) ذاته ونفس الصفحة.

(٢٩) ذاته ونفس الصفحة.

(٣٠) الآية / ٢٤ من سورة الطور.

(٣١) في مختار الصحاح / شرد البعير : نفر فهو شارد وشرود.

وفي شعر أبي تمام : لاتنكروا ضربي له من دونه إذن مثلاً شروداً في الندى والباس.

(٣٢) يشهد أ. خالد محيى الدين أن د. مصطفى محمود عرف فى أوساط الكتاب طوال السنوات الماضية بإلحاده الشديد - صـ ٤٦ من كتاب (لماذا رفضت الماركسية) مرجع سابق.

(٣٣) لم يعهد فى أحد من الإسلاماركسيين مجاهرته بالإلحاد افتخاره به بتلك الطريقة - الممجوجة التى كان د. مصطفى محمود يفعلها.

(٣٤) يبدوإن "دار الشروق" تخصصت فى احتضان الإسلاماركسيين فبعد د. محمود أخذت تنشر كتباً لـ د. محمد عمارة - وهذه الدار معروفة بميولها الإخوانية ولأحد أصحابها صلة مصاهرة بأحد كبار قادة الإخوان فى مصر.

(٣٥) فى المعجم الوسيط/ شطح فى السير أو القول: تباعد واسترسل.

(٣٦) محمود محمد طه (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى) ص ١ - د.ت.- د.ن - أم درمان/ السودان.

(٣٧) المرجع ذاته ص٥.

(٣٨) فى المعجم الوسيط/ أطحه: أسقطه ورماه.

(٣٩) فى المعجم الوسيط / اللغا : مالا يعتد به ومالا يحسب . وسقط المتاع

(٤٠) فى المعجم الوسيط / الينكوب من الطرق هو المنحرف.

(٤١) محمود محمد طه (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى) ص ١٤٣ - مرجع سابق.

(٤٢) فى المعجم الوسيط/ الشفشاف من الثياب الذى لم يحكم نسجه/ وتسميه العامة فى القاهرة : "الشفتشى".

(٤٣) محمود محمد طه (القرآن ومصطفى محمود والفهم العصرى) ص ١٤٧ - مرجع سابق.

(٤٤) ذات المرجع صـ ٢١٢.

(٤٥) د. عاطف أحمد (نقد الفهم العصرى للقرآن) صـ ٦ - الطبعة الثالثة ديسمبر سنة ١٩٨٥ - دار العالم الجديد القاهرة.

(٤٦) أرى أن الصديق أ. صلاح عيسى يمتلك موهبة أدبية أصيلة وخاصة فى مجال السخرية وطلبت منه أن يتفرغ للكتابة الأدبية وسوف يصبح تشيكوف مصر وكان ذلك فى وجود الصديق أ. حسين عبد الرازق وكان وقتها يرأس تحرير جريدة الأهالى فنظر إلىَّ بعتاب وقال لى: وبعدين يا فلان.

(٤٧) أرجح أنه الآن على "قوتها" ولو أنه ممنوع من الكتابة فيها ومع ذلك يدعى أبواق

النظام الحاكم أننا فى أزهى عصور الحرية والديمقراطية.. إلخ

(٤٨) فى المعجم الوسيط/ رش الطريق : نضح عليه الماء ليسكن غباره.

(٤٩) فى المعجم الوسيط/ جمش المرأة: غازلها بقرص أو ملاعبة فهو جامش وجماش.

(٥٠) فى المعجم الوسيط / العباطة: البله وعدم النضج.

(٥١) فى المعجم الوسيط / جاز القول حوزا وحوازاً ومجازاً: قبل ونفذ.

(٥٢) رفعت سيد أحمد "النبى المسلح ١ - الرافضون -" ص ١٥٦ - الطبعة الأولى كانون الثانى / يناير ١٩٩١ - من منشورات . رياض الريس للكتب والنشر - لندن / المملكة المتحدة وهذه العبارة وردت فى الوثيقة الخامسة التى أصدرتها الجماعة الإسلامية الجهادية فى مصر - فرع تنظيم الجهاد بصعيد مصر.

ود. رفعت سيد أحمد مصنف هذا الكتاب (جمع وثائقه وقدم لها وعلق على كثير مما جاء بها) وهو فى ذات الوقت مدير تحرير المجلة الشهرية التى يصدرها المركز العربى الإسلامى للدراسات "منبر الشرق" وأ. عادل حسين هو رئيس تحريرها ، الأمر الذى يؤكد أنه لابد قد اطلع على الكتاب بـ جزئيه (الرافضون والثائرون) وعرف رأى "الجماعات" فيه وفى حزبه ومع ذلك مازال يشعد ويمحزق ويؤسلم مقالاته لعلها وغيرها تقنع من يهمهم الأمر أنه صار من السابقين الأولين.

(٥٣) الآية / ٤٤ من سورة البقرة.

(٥٤) الآية ٣ من سورة / الصف.

(٥٥) امتنع عامداً متعمداً عن وصف الملابس كما جاءت فى الخطاب لأننا ننقد ولانجرح ولانتناول أموراً شخصية أو خاصة - حتى لو رأى البعض فى نقدنا قدراً من القسوة

(٥٦) فى معاجم اللغة/ الفصيل . ولد الناقة إذا فصل عن أمه وافتصلت المرأة رضيعها: فطمته.

(٥٧) فى المعجم الوسيط. فرش النبات : انبسط على وجه الأرض وانفرش الشيء .انبسط

(٥٨) بمعنى أدق بعض ما جاء على لسان أ. عادل فى المناظرة لإن تناول جميع مافاه به يستنزف مساحة غير مأذون لنا بها.

(٥٩) على سبيل المثال انظر القاموس المحيط للفيروز آبادى فى مادة: نظر.

(٦٠) لمزيد من الإيضاح ارجع إلى مختار الصحاح للرازى والقاموس المحيط للفيروز آبادى - كليهما فى مادة "نظر".

(٦١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

(٦٢) مجلة منبر الشرق – إسلامية شهرية يصدرها المركز العربي الإسلامي – حزب العمل – وقد تولى أ. عادل حسين رئاسة تحريرها منذ العدد الثاني عشر وآخر عدد صدر منها هو الثامن عشر أي أصدرت تحت رئاسته سبعة أعداد ومع ذلك لم يكتب فيها سوى مقالة واحدة في العدد السادس عشر وهي تعليق على مؤتمر السكان الذي انعقد في القاهرة في سبتمبر ١٩٩٤م. وعلى وثيقته ، وهي مقالة علمانية يمكن لأي دنيوي أن يكتبها فكيف يجوز أن يبتعد رئيس تحرير مجلة إسلامية عن الكتابة فيها؟؟؟

(٦٣) سعيد حوى (دروس في العمل الإسلامي) صـ ١٥ – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – دار السلام للطبع والنشر والتوزيع – حلب – سوريا.

(٦٤) ذاته صـ ٦٥.

(٦٥) الآية الخامسة من سورة ص.

(٦٦) تذكر ذلك حتى تقطع على الإسلامويين التنطع واللبك. في القاموس المحيط للفيروز آبادي / اللبك: الخلط.

(٦٧) المسيحيون منحوا الحواريين وغيرهم لقب رسول.

(٦٨) رفعت سيد أحمد "وثائق تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينيات صـ ١٣ – طبعة ١٩٨٦ مكتبة مدبولي/ القاهرة ود. رفعت سيد أحمد في "الحركات الإسلامية في مصر وإيران" صـ ١٠٣ – الطبعة الأولى ١٩٨٩م – سينا للنشر – القاهرة.

وكيف يمكن أن نصدق أن أ. عادل حسين لم يقرأ هذين الكتابين أو أحدهما، وخاصة أن مؤلفهما – كما سبق أن ذكرنا – مدير تحرير مجلة منبر الشرق التي يرأس تحريرها أ. عادل!!

(٦٩) الحواريون أو التلاميذ أو الرسل الذين كانوا مع المسيح عليه السلام كانوا ثلاثة عشر وعدة أهل بدر الكبرى من المسلمين كانوا ثلاثة عشر وثلثمائة فهل هناك صلة من نوع خاص بين الديانتين الساميتين وبين الرقم ١٣ وهل لهذا الرقم مكان ملحوظ في الميثولوجيا السامية القديمة – هذا ما أدعو أخي وصديقي د. سيد محمود القمني عالم الميثولوجيا المرموق أن يجيبني عنه.

(٧٠) د. رفعت سيد أحمد "الحركات الإسلامية في مصر وإيران" ص ١١ – مرجع سابق

(٧١) هالة مصطفى (الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف)

ص١٤١ - الطبعة الأولى١٤١٢هـ/١٩٩٢م - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مؤسسة الأهرام - القاهرة.

(٧٢) ذاته ونفس الصفحة

(٧٣) ذاته ونفس الصفحة

(٧٤) ذاته ونفس الصفحة

(٧٥) د. رفعت سيد أحمد "الحركات الإسلامية" ص ١١٩ مرجع سابق.

(٧٦) ذاته نفس الصفحة.

(٧٧) هالة مصطفى "الإسلام السياسى" ص ١٥٩ مرجع سابق وقد نقلت الباحثة ذلك من كتاب صالح الوردانى "الحركة الإسلامية فى مصر" الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

(٧٨) هالة مصطفى (الإسلام السياسى فى مصر) مرجع سابق ص ١٤٩.

(٧٩) د. رفعت سيد أحمد (الحركات الإسلامية) مرجع سابق ص ١١٢

(٨٠) نعمة الله جنينه (تنظيم الجهاد هل هو البديل الإسلامى فى مصر؟) ص١ ١/١٠٢.

العدد / ١٨ من كتاب الحرية - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

(٨١) ذاته هامش الصفحة ١٠١.

(٨٢) هالة مصطفى (الإسلام السياسى فى مصر) ص ١٤١ - مرجع سابق.

(٨٣) ذاته والصفحة نفسها. •

(٨٤) فى المعجم الاقتصادى الإسلامى" للدكتور أحمد الشرباصى / الويبة : وحدة للمكاييل المصرية وهى كيلتان أى ستة عشر قدحاً - طبعة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م - دار الجيل - مصر.

(٨٥) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٨٦) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

(٨٧) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

(٨٨) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٨٩) الآية ٦٣ من سورة الأنفال.

(٩٠) فى المعجم الوسيط الجلهوم : الجماعة الكثيرة

(٩١) عاب الإسلاماركسى على الدكتور رفعت السعيد رجوعه أو استناده إلى كتابات الحركة الإسلاموية فى الثلاثينيات وهذا خطأ منهجى منه (= من أ. عادل) ما كان له أن يتزلق إليه، ومع

ذلك فنحن نحاجه بكتابات المنظرين المعاصرة.

(٩٢) سعيد حوى "دروس في العمل الإسلامي" - الدرس الثاني : من أجل حزب لله واحد ومن أجل حركة إسلامية واحدة - مرجع سابق.

(٩٣) ذاته صـ ٢٣.

(٩٤) ذاته صـ ٢٠.

(٩٥) المحامون الذين يحضرون للتمرين بمكتبي منذ أوائل الثمانينيات وربما قبلها يخطئون في الإملاء ودع جانبا الخطأ في النحو - وهذه "النخب الشابة" حسب تعبير الإسلاماركسي أ. عادل حسين تعرف عن الخطيب لاعب كرة القدم كل صغيرة وكبيرة ولم تسمع عن "الخطيب البغدادي" وتنحصر معلوماتها عن الخليفة المأمون: إن هناك شارعاً باسمه نواحي مصر الجديدة - والذين يتابعون البرامج التلفازية التي يتعامل فيها المذيع مع شباب الجامعات أو المتخرجين فيها حديثاً يسمع ما هو أعجب وأغرب.

(٩٦) في المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية - الجزء الثاني - حرف الباء / بنج الطبيب المريض : خدره (محدثة).

(٩٧) ذكر الإمام القزويني في "عجائب المخلوقات" أن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قابل العنقاء منهم عمر بن الخطاب.

(٩٨) في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية / العصابة : الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير وفي حديث يوم بدر الكبرى (إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً).

(٩٩) في المعجم الوسيط / سترشف: رقيق يستشف ما وراءه.

(١٠٠) في المعجم الكبير - الجزء الثاني - حرف الباء/ بهلق: نافق ولقي الناس بكلامه.

(١٠١) في المعجم الكبير - الجزء الثاني - حرف الباء/ أبنج الرجل : انتسب إلى أصل كريم. ويقال رجع فلان إلى بنجه وبنجه أي عاد إلى أصله.

(١٠٢) في القاموس المحيط للفيروز آبادي / الزم غرز فلان أي أمره ونهيه واشدد يديك بغرزه أي حث نفسك على التمسك به.

الشيخ مصطفى عاصى

نعم للحوار
ولا للعنف والإرهاب

كان حواراً جاداً وبناء هذا الذى جرى بين قطبين كبيرين من أقطاب العمل السياسى فى مصر المعاصرة على مدى ما يزيد على الأربعين عاما الأخيرة، عاصرا فيها أهم الأحداث والتحولات السياسية والاجتماعية منذ عهد الملكية وقيام الثورة بانتصاراتها وهزائمها فى عهودها الثلاثة بقيادة عبد الناصر والسادات ثم مبارك، كما عايشا معاً مرحلة الدعوة للاشتراكية العلمية، والعمل تحت راية اليسار المصرى بكل نجاحاته وإخفاقاته ومآسيه حتى آل بهما الأمر إلى السجن، ولم يفترقا سياسيا إلا فى السنوات الأخيرة حيث أصبح للعمل الإسلامى السياسى نفوذا أوسع، مما جعل البعض يعيد حساباته القديمة وبخاصة مع تراجع الشيوعية وحركة اليسار العالمى بعد تفكك الاتحاد السوفيتى، نعم كان لقاءً حاراً بين الأستاذ عادل حسين أمين حزب العمل ود. رفعت السعيد أمين حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى وقد قدّم رفعت السعيد صديقه القديم بعبارات تنم عن الاحترام واتساع الأفق والرغبة الجادة

فى محاولة الفهم والتفهم دون اللجوء إلى التشاجر أو التعصب فقال: إن الهدف من اللقاء هو أن نفهم وأن نتفهم قدر ما نستطيع .. فمن الخطأ أن يتصور البعض أننا جئنا لكى نتشاجر. فأنا والأستاذ عادل أصدقاء قدامى .. ولن تتبعثر هذه الصداقة بسبب حوار أو موقف ..

مع احتفاظنا بمواقفنا الفكرية والسياسية دون تنازل لكن المهم أن نكون موضوعيين:

كانت هذه البداية مشجعة وموضوعية وبخاصة أن حزبه (التجمع) كان صاحب الدعوة للحوار من أجل الحق والوطن.

وقد أثنى الأستاذ عادل حسين على كلام د.رفعت - حين بدأ حديثه - مؤكداً أنه قد حضر بقلب وعقل مفتوح بهدف الحوار وليس التناطح، مؤكداً على إن الأمة فى وضع خطير والمخرج هو الحوار وتبادل الرأى، كما أكد على عمق صداقته وزمالته القديمة لرفعت السعيد حتى خرجا من السجن فى سنة ١٩٦٤. ثم افترقت بينهما السبل - حتى راجع كثيرا من أمور حياته ومواقفه ومن بين ذلك سؤال لنفسه ولماذا لم أتناقش مع رفعت السعيد..؟؟

وبعد ذلك أخذ يعدد مراحل تطوره الفكرى والسياسى، فذكر أنه ناضل فى قلب الفكر الماركسى اللينينى زهرة شبابه وتحمس له ودفع ثمناً غالياً - ثم انتقل إلى الفكر القومى الراديكالى متفاعلاً مع التجربة الناصرية .. ثم تطور إلى مواقع الفكر الإسلامى، وكان ذلك كله نتيجة معاناة وقراءة وتأمل، حتى وصل إلى الموقف الحالى داخل الحركة الإسلامية والفكر الإسلامى منذ الثمانينيات .. وحتى داخل هذا الفكر وتلك الحركة فقد تطور أيضاً فهو من:

(١) المـــؤمنين بأهمية التعددية داخل الحلف الإسلامي والحركة الإسلامية - فالتعددية هي التي توجه حركة المسلمين، كما توجه معتقداتهم جميعا .. وليس للاختلاف بينهم في مجال الاجتهاد نهاية، كان هذا صحيحاً في الماضي والتاريخ وهو صحيح الآن حتى أنها تلمس باليد.. فكل له حساباته ومخططاته يختلفون معاً.. ولكن - لايكفر أحدهم الآخر؟؟ فكلهم يختلفون داخل إطار الأصول الإسلامية - سواء في الجزائر أو السودان أو مصر..

فهناك تنوع في الاجتهاد على مستوى الحركة السياسية فليس كُل الداعين في مصر إلى الحل الإسلامي ينتهجون نفس السبل . ويتبنون نفس التصورات لهذه الدولة الإسلامية . هذه هي الحقيقة للحركة الإسلامية المعاصرة، وليست مجرد أطروحة نظرية ممكنة في الإسلام ولكنها تستمد مشروعيتها من الإسلام نفسه؟؟ فالتعددية فريضة إسلامية كما أن التفكير فريضة إسلامية ومن التفكير يتولد الاختلاف في الرأى والتعددية كذلك .

(٢) إن ما يكتبه د. رفعت وغيره عن أن "الإخوان المسلمون" هم الإسلام والإسلام هو " الإخوان المسلمون" غير صحيح بالمرة..

(٣) القول بأن جميع الحركات الإسلامية خرجت من عباءة "الإخوان المسلمين" عضوياً غير صحيح .. فالجماعات الإسلامية لم تخرج من الإخوان المسلمين وكذلك حزب العمل .. لكن الصحيح أن جميع هذه الجماعات خرجت من الإسلام نفسه ،نعم الإخوان تنظيم كبير له فضل رائد خرج من الإسلام ومن أصوله وقد أبلى في ذلك وبذل الدماء والتضحيات..

(لكن الإسلام أكبر وأوسع) فالقول بأن جميع الحركات الإسلامية خرجت من

عباءة الإخوان تحديدا كلام غير صحيح - لاتاريخيا ولا واقعيا - والأهمية لهذه التفرقة ليست نظرية، ثم تناول قضية هزيمة الخلافة العثمانية وانتصار الغرب وأثر ذلك على نفوس المسلمين - فقد أصبحت الدعوة إلى إحياء الخلافة العثمانية والإصرار على أن الإسلام مازال يمثل الحل ويمثل المستقبل أمراً صعباً، فقد فُقِدالأمل فى قدرة الإسلام على التجديد بعد طول الجمود .

وأصبحت الدعوة للعودة إلى الإسلام تمثل فتنة وردة فى مواجهة رفض عام، خاصة من بين النخب الحاكمة والنخب المثقفة التى باتت تنظر إلى دعاة الإسلام السياسى على أنهم كتلة واحدة دون تمحيص فى حقيقة ما يقصده دعاة استعادة الدولة الإسلامية ومحاولة النهوض من جديد تحت راية الإسلام.

لكن بعد طول المعاناة وكثرة التجارب خلال هذا القرن أصبح هناك ما نسميه "الصحوة الإسلامية" وما تعنيه من يقظة الأمة وبخاصة نخبها الشابة فقد أفاق الجميع من غيبوبة طويلة ليؤكدوا على أن النهضة لاتكون ناجحة إلا بمقدار مالها من جذور مرتبطة بالإسلام.

إن جماهير الشباب تقبل على الفكرة الإسلامية دون سواها ، لأنه لايوجد ما يؤثر فى نفوس هؤلاء الشباب سوى الإسلام، بعكس الجيل السابق فقد تأثر بمجموعة الأفكار الغربية بشقيها: (الشيوعى ، الليبرالى)

ثم استطرد الأستاذ عادل فى محاولة لقياس الحركة الشيوعية من بدايتها وما كان يقال عنها من أنها واحدة مصمتة، ثم تنوعت بعد ذلك باختلاف التجارب والبلدان بحركة الإخوان والجماعات الدينية المتنوعة، ودعا المثقفين إلى فهم الظاهرة والتمييز بين أطرافها لإمكانية التعاون والتفاهم مع البعض دون البعض على أساس الحوار دون التعالى على هذه الحركة أو تجاهل أبعادها

الجبارة - وفى عباراته الأخيرة من أطروحته ،يؤكد أن قيادات العمل الإسلامى أكثر فهماً للواقع، وأقرب إلى التعبير عن طموحات الأمة، بعكس النخب المثقفة التى ليس لها صلة ، بالجماعات الإسلامية، فيعزلون أنفسهم عن نور الله - عن هذه الحركة الصاعدة (ويقولون دُول شوية عيال) هم فى حقيقة الأمر مخطئون . واتهامهم للجماهير بالسلبية عجز من هذه النخب . فالجماهير ليست سلبية - بل هى فى اتجاه مغاير لما تقول به هذه النخب.

وهكذا أنهى عادل حسين حديثه بوصف النخب المثقفة بالعجز والاغتراب عن الواقع، مدافعاً عن الحركات الإسلامية وبخاصة جماعة "الإخوان المسلمين".

وقبل أن نناقش ما ورد فى حديث سيادته نستعرض باختصار أهم الأفكار والآراء التى وردت فى كلام د. رفعت السعيد ثم نناقش ما ورد فى حديثهما معاً لنرى وجوه الصواب والخطأ عند الطرفين، وأيهما كان محدداً وواضحاً فى طرحه للقضية التى عقدت من أجلها الندوة.

يظهر أن د. رفعت كان أكثر إصابة لهدفه دون لف أو دوران : فقد بدأ حديثه بالاستئناس بمقولة للإمام الشافعى، وحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى فى الصحيحين عن الإمام على بن أبى طالب مما يعطى لحديثه حجية ومرجعية دينية صحيحة، ثم تحدث عن سر اختياره لمسمى "التأسلم السياسى" لغوياً دون وصفهم بالأصوليين - أو حتى المتطرفين - لأن "الأصوليون" هم الراغبون فى العودة إلى الأصل - والأصل جليل ومفترض فيه كلية الصحة - وهم ليسوا كذلك ...

ثم تحدث فى الهامش الثالث - عن ضرورة التمييز بين العنصر الإيمانى فى الدين - فليس هذا العنصر مطروحاً للمناقشة أو الإنكار، حيث هذا أصل الدين دون العناصر السياسية والاجتماعية - فهذه هى محل النقاش والحوار - لأن هذا التمييز هو الذى يوضح ويفسر لنا صحيح الدين من فاسد التدين وإلا اعتبرنا المذابح المأسوية البشعة التى جرت بين المسلمين فى عصورهم المختلفة . وآخرها ما يحدث يوميا فى أفغانستان بين جماعات الجهاد الإسلامي من قتل ودمار دليل صحوة إسلامية .. وصحيح الدين ليس كذلك - هذا وقد قسم رفعت السعيد الجماعات المتأسلمة إلى ثلاثة فصائل - جميعها تنطلق من خيمة فكرية واحدة . فمقالات عادل حسين وإبراهيم شكري لاتختلف عن مقالة مصطفى مشهور.. ولهذا فالتعامل ليس فقط في مجرد الحديث، وإنما أيضاً فى السياسة يتم على أساس المنطلق الواحد لهذه الجماعات كما أن التطرف ينبع وينشأ من عدة أبواب:

أولها: - القول بأن جماعة ما تدعى لنفسها الحق بأنها جماعة المسلمين - وما عداها خارج دائرة الإسلام، وبالتالى فمن لم يكن من هذه الجماعة فهو خارج رقعة الإسلام ويستحق ضرب عنقه بالسيف - وهذا غير صحيح بالمرة -

وذكر رفعت السعيد أن من أوائل من قال بفكرة إن الإخوان المسلمين" يمثلون الإسلام الإمام حسن البنا، وقال مثل قوله عبد القادر عودة وشكرى مصطفى الذى كان عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين ثم انشق عليهم وألف لنفسه جماعة أخرى سفكت الدماء وقتلت الأبرياء -

الثانى: -من أسباب التطرف - الفهم النصّى (الحرفى) للقرآن والسنة .. والمسلمون تاريخيا يتعاملون مع النص القرآنى والأثر النبوى بطريقتين - وسوف نعود لهذا البند بمزيد من التوضيح فوق ما ذكره رفعت السعيد -

البند الثالث: - تسييس الدين أو تديين السياسة وذهب إلى خطأ هذا الاتجاه فى كلٍ من حق الدين وحق السياسة وفى حق البشر.

لأن الدين إلهى شمولى كلى الصحة - بينما السياسة فعل إنسانى ناقص يحتمل الصواب والخطأ، كما يحتمل المناقضة والرد والمعارضة فى حين أن الدين كوحى إلهى لايجوز رده أو مناقضته واستشهد د. رفعت بشعرٍ لكل من الأستاذ حسن البنا وعبد الحكيم عابدين على خطر تسييس الدين - حيث يريد البنا إلغاء كل الأحزاب والأنشطة السياسية ليحل محلها قيام حزب واحد إسلامى..

كما أشار د. رفعت إلى فهم الإسلاميين المعاصرين لحقيقة الشورى والديمقراطية حيث يقول أبو الأعلى المودودى "الإسلام لايجعل من كثرة الأصوات ميزانا للحق، فإنه من الممكن أن يكون الفرد الواحد أكثر صوابا وأحدّ بصراً من سائر أعضاء المجلس .فالأمير له الحق فى أن يوافق الأغلبية أو لايوافقها، كما له الحق فى أن يخالف أعضاء المجلس جميعا ويقضى برأيه منفرداً، كما أن الخلط بين الدين والسياسة قد يؤدى إلى الخلط بين نفسه وبين الدين جماعة سياسية كما كان يهتف الأخ عبد القادر فى مارس ١٩٥٤ احتجاجاً على سجن بعض الإخوان - كان يقول "الإسلام سجين".

بل إن "سيد قطب" يقول إن المسلم الذى لم يكن ينتمى إلى جماعة إسلامية حقة كان قلبه مفتقرا إلى حقيقة الإسلام.. ويذكر "سيد قطب" أن "الإخوان المسلمين" ليسوا قطاعاً من هذا الشعب وغيره، إنهم "كينونة جديدة تنشأ منفصلة عن هذه التشكيلات الوطنية والقومية . والعالمية"؟؟

الباب الرابع للتطرف : القول بوجوب وجود الحكومة الدينية - وهذا يؤكد على أنهم جميعا متشابهون؟؟ من حسن البنا حتى الشيخ عمر عبد الرحمن

الخلافة ليست مسألة دينية - وإنما هى شأن من شئون الأمة - يعنى سياسة.

خامساً : العبث بالوحدة الوطنية - ثم موقف حزب العمل - وازدواجية مواقفه نراه يطالب بالديمقراطية ويطالب بحرية النقابات وحرية العمل الحزبى ثم فى نفس الوقت يمجد حكم البشير فأين هو حكم الإسلام الصحيح؟.

بعد الانتهاء من عرض الأفكار الأساسية لكلا المتحاورين .. تتضح مجموعة من الحقائق لابد من الإشارة إليها:

أولاً: لم يكن الإسلام "الدين والرسالة" التى تدعو الناس إلى الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا إلى غير ذلك، من الدعوة إلى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، لم يكن الدين بهذا المعنى مطروحاً

للحوار ولا للمناقشة ولن يكون مطروحاً في المستقبل فالدعوة للدين بهذه المعاني وتلك القيم قائمة وملزمة لكل مسلم..

إنما المطروح للحوار وللمناقشة قضايا السياسة، وفي القلب منها قضية الإسلام السياسي، أو "التأسلم السياسي" حسبما يرى كل فريق أن يسمى الحركات الدينية السياسية في معترك الحياة.. وبهذا التحديد كان د. رفعت أكثر تحديداً للمطلوب بينما حاول الأستاذ عادل أن يخلط ويعمم بين المفاهيم.

فيقول : والتعددية الإسلامية - هي التي توجه حركة المسلمين كما توجه معتقداتهم جميعا - وليس للاختلاف بينهم في مجال الاجتهاد نهاية - كان هذا صحيحاً في الماضي والتاريخ وهو صحيح الآن . فكلهم يختلفون داخل إطار الأصول الإسلامية - ولكن لايكفر بعضهم بعضا - سواء كان ذلك في الجزائر أو السودان أو مصر..

إن محاولة سحب الفكرة الإسلامية بكاملها على نشاط الحركة الإسلامية السياسية، وبهذا التصور ينفي عمن ليس من أعضاء هذه الجماعة صفة الإسلامية.. وهذا ما نحذر منه وننبه إلى خطورته..

فليست "جماعات النشاط السياسي الديني" وحدها هي المعبرة عن الإسلام فالإسلام أوسع وأكبر وأدعم وأشمل : فكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم وإن زنى وإن سرق كما قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عن أبي ذر... = من كتاب (تهذيب الآثار) للطبري صـ٢ صـ١٥٤ =

كما أن دفاع الأستاذ عادل عن الإخوان المسلمين ونفيه لمقولة خروج الجماعات السياسية من عباءة الإخوان..

أمر لايجب أن يقع فيه مفكر في مستوى عادل حسين، فالتاريخ يؤكد صحة هذه المقولة، كما أن حصاد عمل هذه الجماعات السياسي سوف يصب في النهاية في طاحونة الإخوان باعتبار أنهم الأكثر كفاءة وخبرة في النواحي السياسة والتنظيمية .. كما أن نفى هذه المقولة لتبرئة الإخوان من آثام التطرف، والقول بأنهم جميعا قد خرجوا من الإسلام، نفسه يلقى بالشبهة على الإسلام نفسه ويساعد على التأكيد الخاطيء لدى الغرب بأن الإسلام دين العنف والإرهاب وهذا أمر ننفيه عن الإسلام، كما ينفى الإسلام عن نفسه هذه التهمة فالإسلام دين السلام - وأعتقد أن الأستاذ عادل حسين لايقول بغير هذا - لكن يُشْكِل على قول سيادته ما ذكره حول موقف النُخب الذين يعزلون أنفسهم عن نور الله - عن هذه الحركة الصاعدة = فالأستاذ عادل ينزل هذه الحركات الإسلامية : منزلة نور الإله نفسه وهذا عين الخلط - بين الدين والرسالة والعبادة - وبين حركة البشر - التى تحتمل الصواب والخطأ .. - وهذا عيب من يكتب مدافعا عن استخدام الدين لتحقيق أغراض سياسية - وهو نفس ما رفضه رفعت السعيد وحذر منه -ورغم هذا فعادل حسين يعد وسط تيارات الحركة الإسلامية متقدماً فهو يعلن إيمانه بالتعددية وحق الاختلاف والاتفاق في الرأى .. وهذا أمر لايتوافر لغيره من قيادات الحركات الإسلامية ،وهذا أمر يشجع على تكرار اللقاء والحوار معه من أجل الوطن .

كما أن هذا يساعد في فك التلازم بين قيادات الحركة الإسلامية، ويفتح الطريق لآخرين يرغبون في الانعتاق من قبضة هذه الجماعات، أما ما قدمه رفعت السعيد من آراء وأفكار دعمها بالأدلة والمراجع في موضوع المناقشة فأمر يستحق التقدير والإشادة .. مع تحفظ وصد .. حول فكرته

يرفض الحوار مع كل تيارات الحل الإسلامي - ففي نظرى أنه يمكن تقسيم هذه التيارات .. والتعامل مع من يقبل منها الحوار والتعددية والاعتراف بالآخر وتبادل السلطة .. من أمثال عادل حسين طبعا مع إدانة الإرهاب والعنف .. لأن العبرة فى النهاية بنتيجة العمل والحوار في أرض الواقع، وليس بالضرورة منطلقه الفكرى .. فنحن فى التجمع لنا منطلقاتنا الفكرية المتنوعة لكن نعمل لتحقيق أهداف مشتركة هى فى النهاية فى صالح الوطن والمواطن.. كما أن نظرتنا فى فهم الإسلام ونصوصه الدينية تنطلق من الغاية من النص وليست من مجرد النص لتحقيق مصالح العباد ورفع الضرر عنهم، وربما ما قدمه الدكتور رفعت فى هذا الاتجاه صحيح.. فالمذابح التى وقعت بين المسلمين على طول التاريخ وآخرها ما يحدث فى أفغانستان بين مدعى الجهاد، لايمكن وصفها على أنها تمثل صحيح الدين.. والله تعالى حرم ذلك وأمر بالإصلاح بين المقتتلين فقال تعالى "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" الحجرات ٩، وحذر الرسول من سوء مغبة الاقتتال بين المسلمين أفرادا أو جماعات فقال عليه السلام: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار" البخارى.

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى ولم يحدد شكل الحكومة. ولانظام اختيار الحاكم .. كما لم يوص بالحكم لشخص معين - إلا ما تقول به جماعات الشيعة - من أن النبى (ص) أوصى بالحكم لعلىٍ - لكن المؤكد عند أهل السنة والجماعة أنه لم يثبت شيء من هذا، فالنبى (ص) ترك الأمر شورى بين المسلمين - وهذا ما دعا الأنصار إلى الإسراع للاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة يطلبون الخلافة لزعيمهم سعد بن عبادة والرسول لم يزل

فى بيته لم يدفن بعد : كما سارع إليهم نفر من المهاجرين (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) وتناقش الجميع فى الموضوع وقدم كل طرف حجته العقلية فى أحقيته للحكم، دون أن يكون مع أحدهم دليل واحد من القرآن أو السنة – وانتهى الأمر باختيار أبى بكر، وهكذا فالحقيقة المطلقة لم يعد أحد الصحابة يملكها بعد الرسول، وإنما أصبح الحق والصواب موزعاً بين أصحابه جميعاً، وهذا هو جوهر الدين .. وما يجب عمله فى فهم نصوص القرآن والسنة .. فالذين يعمدون إلى فهم ظاهر النص منفردا عن باقى نصوص القرآن والسنة فى الموضوع الواحد كما تفعل جماعات الإسلام السياسى حالياً ،وكما فعلت جماعات الخوارج من قبل..

وكما أشار د. رفعت يوقعون الناس فى الخطأ والحرج والمشقة.. بعكس ما يقول به دعاة الاستنارة قديماً وحديثا، وهناك مثال عملى لنتائج فهمين مختلفين لمدرستين مختلفتين..

النص الأول من القرآن : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل.. الآية) البقرة ١٩١

النص الثانى من السنة: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) البخارى

المتعصبون الحرفيون يقولون إن القرآن والسنة أمرت بقتال الناس جميعا والكفار خصوصاً فى أى مكان ، مادام لم يقولوا "لا إله إلا الله" ولهذا يعلنون الحرب على غيرهم بمقولة إن المجتمعات جاهلية والناس كفار .. وتتحول الحياة تحت هذا المفهوم إلى جحيم ودماء لاتجف.. وهذا منافٍ لروح الإسلام ودعوته السمحة وشريعته البيضاء.. لهذا يتقدم ذوا الرأى والبصائر فى فهم

القرآن والسنة من الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين، فيفسرون منطوق الآية وعبارات الحديث في إطارهما الصحيح، وفى ظروفهما وأسبابهما حتى يرفعوا الحرج والمشقة عن الناس فيعبدوا الله تعالى فى سكينة واطمئنان.. فيقولون إن المراد من الآية هم مشركو مكة بدليل السياق القرآنى وواقع الصراع التاريخى بين المسلمين ومشركى قريش..

فقبل هذه الآية مباشرة آية تنص على أن القتال شرع فقط فى مواجهة المعتدى، وليس لإجبار الناس على الدخول فى الإسلام، بدليل قوله تعالى "لا إكراه فى الدين". وهذه الآية التى حدد الله فيها سبب القتال تقول: (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين). آية ١٩٠ البقرة.

ويزيد الأمر تأكيدا على أن المراد هم مشركو مكة وليس كل مشركى العالم كما يقول دعاة العنف قوله تعالى فى تمام الآية (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه)، فالذين كانوا عند المسجد الحرام هم مشركوا قريش فقط.

كما أن المراد بكلمة **الناس** فى الحديث الصحيح هم أيضاً مشركو مكة وليس كل الناس فأل فى الحديث للعهد وليست للجنس بدليل قوله تعالى فى سورة النصر (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت **الناس** يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً).

إذ المراد بالفتح فى السورة هو فتح مكة والذين دخلوا فى الإسلام أفواجاً يوم الفتح هم مشركو مكة وليس كل الناس في العالم - ولهذه الآية وهذا الحديث نظائر فى القرآن الكريم من هذا قوله تعالي فى الآية ١٧٣ من سورة آل

عمران = (الذين قال لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فالناس الأولى هم المثبطون والثانية قريش - وقوله تعالى "فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم" الأعراف آية ١١٦ ،فلفظ الناس في الآية قصد به قوم فرعون الذين كانوا مع السحرة وليس المقصود به كل الناس في كل الأزمنة والأمكنة، وعموما فلفظة الناس ذكرت في القرآن (٢٤١ مرة مائتين وإحدى وأربعين مرة) منها ما هو عام يشمل الجنس ومنها ما هو خاص يدل عليه السياق.

= أما موضوع الشورى بالفهم الذي قدمه د. رفعت فضلاً عن قيادات الحركة الإسلامية (حسن البنا وأبو الأعلى المودودي وسيد قطب) وغيرهم ممن ينكرون حق الأمة ويهدرون قيمة الأغلبية في مواجهة رأي الأمير أو كبير العائلة .. فأمر يؤسف له بحق ولو كان الأمر كذلك ما تشاور النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، فهو المعصوم وحده وغيره من الناس لاعصمة له.. ومع ذلك كان النبي دائم المشورة لأصحابه وهو القائل لأبي بكر وعمر ما اجتمعتا على أمر وخالفتكما فيه - بل إن الله تعالى حين يأمره بأن يشاور أصحابه بقوله سبحانه "وشاورهم في الأمر" لم يكن ذلك عبثا منه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فأوامر الله مكللة بالحكمة منزهة عن العبث . والرسول كان واضحاً مع أصحابه حين يميز بين ما هو دين يجب فيه الالتزام بالوحي قرآنا أو سنة وما هو شأن من أمور الحياة فيقول "إذا أمرتم بأمر من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشأن من أمور دنياكم فإنما أنا بشر"..

كما أن أبا بكر كان يؤكد على بشريته وأنه لاعصمة له "لهذا فهو معرض للخطأ والصواب فكان يقول إذا رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني .. إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعُصم بالوحي أما أنا فقد يعتريني شيطاني" وهكذا كان فهم الصحابة الأجلاء لروح الإسلام وتعاليمه بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حديث صحيح: لاتجتمع أمتي على ضلالة فكيف ينكر عليها هذا الحق أبو الأعلى المودودي وغيره اللهم إلا أنه يكون هذا لإلغاء شخصية الأمة وتطويع الناس للقبول بفكرة السمع والطاعة في المنشط والمكره وهذا ضد جوهر الشورى والديمقراطية، بل وضد مبادىء العدل والمساواة بين الأمة التي أشاد القرآن بفضلها حين تتولى مسئولياتها في الرقابة والمتابعة لكل عمل فيقول الله تعالى:

"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.. (آل عمران ١١٠ ،فمن جملة المعروف التعامل مع الناس جميعهم بالحسنى اتفقوا في الدين أو اختلفوا عملاً بقوله تعالى "وقولوا للناس حسنا" ومبدأ الحرية الذي أقره الإسلام لايتجزأ :فحين يقول الله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) مع قوله تعالى (الإكراه في الدين) فهذا الحق يستلزم حرية العبادة للمخالفين وهذا ما نص على عمر في عقد الصلح مع أهل القدس حين فتحت صلحاً.. فقد أقر النصارى على دينهم وكنائسهم وصلبانهم" فمن يأتي الآن ليحاول انتقاص هذا الحق... فهو أبعد عن الروح الإسلامية الصحيحة - وحين نقول بحق كل أبناء الوطن في حياة متساوية فنحن أقرب إلى دين الله تعالى .. والله ولي التوفيق.

د. مجدى قرقر
أمين عام مساعد حزب العمل

أيدينا بيضاء.. خشنة.. متوضئة

«اغسل يدك من دم الإرهاب حتى أستطيع أن أتفاهم معك».

بهذه الكلمات أنهى د.رفعت السعيد مناظرته مع الأستاذ عادل حسين أمام جمع كبير من المثقفين والسياسيين المصريين والعرب.. وليعلم د.رفعت أن أيدينا بيضاء لم تلوث بدماء الأبرياء.. أيدينا خشنة يحبها الله ورسوله حيث تعمل لخير أمتنا.. أيدينا متوضئة تخاف الله فى كل ماتعمله وماتكتبه، لم تزيف تاريخاً ولم تجتزئ نصاً وستشهد علينا يوم القيامة.

(**ملاحظة شكلية**).. عنوان المناظرة «الاعتدال والتطرف فى الإسلام السياسى».. ومن هنا كان الواجب أن يكون رفعت السعيد أول المتحدثين حتى يعرض رؤيته النقدية ليعقب عليها عادل حسين.. إلا أن د.رفعت تعهد فى

البداية أن يكون اللقاء ندوة أو حواراً لأن المناظرة تمتلك قدراً من اللجاجة ينأى بنفسه وبمحاوره عنها.. وما أن جاء دوره حتى جاء حديثه مناظرة مليئة باللجاجة والتهكم والسخرية والضرب تحت الحزام.

(ملاحظة عامة) لقد دعا عادل حسين إلى الحوار بصدر رحب وعقل مفتوح وصبر يحسد عليه ففى إطار مايقتضيه «فقه الأولويات» دعا إلى مواجهة الصهيونية وإلى البحث عن سبل الاستقلال الاقتصادى والعدل الاجتماعى ولتحقيق ذلك دعا إلى تجاوز الخلافات وتأسيس جبهة تواجه التحديات إلا أن رفعت السعيد آثر أن يغرق فى الخلافات ولم يتعرض لأية نقطة من هذه النقاط بما يعنى رفضه للحوار رغم أننا نعتقد أن هذه النقاط تقع فى مساحة الاتفاق مع التجمع.

(تزييف التاريخ) تغلب المؤرخ على السياسى فى تعقيب رفعت السعيد.. ولكن هل التزم أمانة المؤرخ؟!.. ما من شك فى أن هناك بعض السلبيات التى شابت التاريخ الإسلامى وشابت ممارسات بعض الجماعات التى انحرفت عن صحيح الإسلام ولكن أن نسرد هذه الأحداث للتعبير عن تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها فإن هذا يعتبر تزييفاً للتاريخ لخدمة أهداف ما كنا نود للدكتور أن يقع فيها.

(لغة الخطاب) ولقد تحدث عادل حسين بلغة السياسى دون أن يتنازل عن صحيح دينه أو مايمليه عليه فكره السياسى وهذا ما اقتضته طبيعة اللقاء فى محاولة منه لإقناع مخالفيه.. إلا أن الغريب أن رفعت السعيد والذى يعيب علينا عدم التمييز بين العنصر الإيمانى فى الدين وبين العناصر السياسية والاجتماعية الأخرى -فصل الدين عن السياسة- الغريب أنه حاول أن يوظف

الدين لدحض رؤية مخالفيه باجتزاء النصوص وتزييف التاريخ وهنا ينطبق عليه مصطلح «التأسلم» الذى وصف به مخالفيه لتكفير التيارات الإسلامية أو وصفها بالنفاق على أحسن تقدير طبقاً لتعريفه للتأسلم بأنه (علامة على التشبيه بشئ لكنها ليست الشئ ذاته) - أليس غريباً أن يمارس رفعت السعيد التكفير وتوظيف الدين رغم أنه مازال فى الخندق الماركسى على ما أعلم؟!

(اجتزاء النصوص) ويشير رفعت السعيد إلى حديث بأن الخلافة ثلاثون عاماً ثم تصير ملكاً عضوضاً ولكنه لم يشر إلى حديث حذيفة الذى أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى فى أن الحكم فى دولة الإسلام يمر بعدة مراحل (نبوة -خلافة على منهاج النبوة- ملك عضوض- ملك جبرى ثم خلافة على منهاج النبوة) إنه منهج (ولا تقربوا الصلاة!!) لغرض فى نفس الدكتور.

(التعددية) وخير دليل على التعددية فى الإسلام تلك الصحيفة التى حررها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد الهجرة للمدينة والتى اعترفت بمكونات هذا الواقع بكافة عناصره من يهود ومشركين ومهاجرين وأنصار.

ويأبى رفعت السعيد إلا أن يضع كل التيارات الإسلامية تحت خيمة واحدة وهذا صحّيح إذا كانت هذه الخيمة هى خيمة الإسلام.. وإذا كان الاعتراف بالآخر غير المسلم قائماً كما أسلفنا فما بالنا بالآخر المسلم والآخر الإسلامى.. والقاعدة الفقهية واضحة وهى أن الاتفاق فى الأصول واجب أما الفروع فمساحة الحركة فيها واسعة ومن هنا تتعدد التيارات والجماعات داخل الإطار الإسلامى فالتعددية فى الإسلام رحمة كما يقول المبدأ الفقهى (إجماع الفقهاء حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة).

(الديمقراطية) والشورى فريضة إسلامية وهى حق مقرر للحكام والمحكومين وليس أحد الطرفين أحق بها من الآخر.. أما تنظيم استعمال هذا الحق فهو الشكل العملى أو الآلية لممارسة الشورى من حقوق وواجبات فهى وسيلة اجتهادية لتحقيق مقصد شرعى صحيح.. وبالتالى فنحن مع الديمقراطية وتداول السلطة وضد الاستبداد السياسى والسلطان المطلق للحكام أو الطاعة المطلقة لهم.

(الدولة الدينية أو الثيوقراطية) الإسلام لايعرف الحكومة الدينية بمعنى حكم رجال الدين لأن الإسلام لم يشترط فى حاكم المسلمين أن يكون أكثر الناس معرفة بعلوم الدين أو أكثرهم تديناً وسماحة وأخلاقاً حتى أن ابن تيمية ذهب إلى أن الواجب فى كل ولاية الأصلح بها.. فيقدم فى إمارة الحروب الرجل القوى الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا.. لا كهنوت فى الإسلام وعلماء الإسلام وكذلك الحكام ليسوا بمعصومين والدولة الإسلامية دولة مدنية مرجعيتها الشريعة الإسلامية ثم الشورى فيما لم يرد فيه نص قطعى الثبات قطعى الدلالة.

نكرر دعوة عادل حسين لرفعت السعيد فى أن يأتى لكلمة سواء لما فيه خير أمتنا.

صلاح عدلى

السبيل الديمقراطى لتجنب العنف والإرهاب

مما لاشك فيه أن هذه المناظرة قد خلقت جواً من الحيوية السياسية التى انعكست فى الحضور المكثف للجمهور الذى حضر اللقاء. وأنا أعتقد أن المناظرة كانت ناجحة بالرغم من كل ماشابها من توتر بسبب محاولة البعض من الإخوان المسلمين بالإثارة والمقاطعة والتشويش خاصة أثناء التعقيب الأخير للدكتور رفعت السعيد.

ورغم رفض الدكتور رفعت والأستاذ عادل لفكرة المناظرة وتفضيلهما تسميتها بالندوة أو الحوار.. إلاّ أنها فى الحقيقة كانت مناظرة فعلاً. وليس هناك مايزعج فى ذلك لأن كلاً من التيارين له مشروع يختلف بشكل جذرى عن مشروع التيار الآخر ولامجال للتوفيق بينهما خاصة فى الموقف من الدولة الدينية وتطبيق الشريعة والقانون الوضعى وحرية الفكر لذلك فمن الطبيعى أن يحاول كل منهما كسب الجماهير إلى وجهة نظره وهزيمة المشروع الآخر. المهم أن تتم هذه العملية بشكل سياسى وفى إطار ديمقراطى ومن خلال جدل فكرى

بعيداً عن أسلوب التكفير والمصادرة والإقصاء التي يمارسها تيار الإسلام السياسي وهذه هي بالتحديد فائدة هذه الندوات والمناظرات.

ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن الدكتور رفعت السعيد كان هو الأقوى حجة، والأكثر تأثيراً وامتلاكاً لأدواته ولذلك فقد حقق انتصاراً واضحاً لوجهة نظره واستطاع أن يعرض وجهة نظر متكاملة حول الجذور الفكرية للتطرف والإرهاب، وحول عدم وجود اختلافات بين جماعات هذا التيار السياسي المتستر بالدين، وقد ركز هجومه على موقف جماعة الإخوان المسلمون المساند للإرهاب والعنف تاريخياً وعدم إدانتها له حتى الآن، وعلى خروج كل جماعات العنف والإرهاب من عباءة الإخوان المسلمين في البداية واسترشادها بالفكر القطبي وقد صمت الجميع حين تحدى الدكتور رفعت قادة الإخوان والأستاذ عادل أن يدينوا صراحة العنف والإرهاب وأن يقولوا كلمة واحدة ضده.

وبالرغم من قوة منطق الدكتور رفعت السعيد وجاذبية حديثه إلا أنه قد أعطى للجانب التاريخي والفقهي وقتاً أكثر من اللازم في حين كان يجب أن يركز على الوقت الحاضر والأطروحات المعاصرة والدخول مباشرة في القضايا السياسية محل الخلاف.. كما أنه تجاهل محاولات الأستاذ عادل حسين لتمييز نفسه عن باقي الجماعات الإسلامية وبدا الدكتور رفعت متحمساً أكثر من اللازم في نهاية اللقاء. وربما كان سبب ذلك استفزاز بعض عناصر الإخوان المسلمين ومقاطعتهم المستمرة.

ورغم النغمة الهادئة التى تميز بها حديث الأستاذ عادل حسين وإشارته إلى الاستعداد لمناقشة المسائل الخلافية إلا أنه -وهذا هو جوهر الخلاف- أكد على أن ذلك ينبغى أن يتم فى إطار العباءة الإسلامية الواسعة.

ولاشك أن الشيوعيين يقفون ضد الصهيونية والهيمنة الأمريكية ويستعدون لأن يمدوا أيديهم لأية قوى حول هذه القضايا، إلا أننا نختلف اختلافا جذرياً مع الهدف الذى تسعى إليه كل فصائل التيار الإسلامى وهو إقامة الدولة الدينية.

وهناك بعض الملاحظات الأساسية على حديث الأستاد عادل حسين وهى أنه رغم حديثه المتكرر عن ضرورة وأهمية التفرقة بين الجماعات المختلفة المنتمية لتيار الإسلام السياسى إلا أنه لم يقل لنا كلمة واحدة عن جوهر هذه الاختلافات ولم يتحدث إطلاقاً حول القضايا محل الخلاف بين المعتدلين والمتطرفين وبماذا يختلف حزب العمل عن الإخوان المسلمين. مما يؤكد عدم الرغبة الحقيقية فى الاستماع للطرف الآخر وتجاهله والدليل على هذا هو اتهام الأستاذ عادل حسين للكتابات التى تنتقد تيار الإسلام السياسى بالسطحية، كما أنه لم يقترب من مسألة حرية الفكر والاعتقاد والإبداع.. فى حين أننا نرى أن هذه القضايا بالتحديد هى التى تكشف وتعزز المعتدلين عن المتطرفين إذا كانوا موجودين فعلاً ونحن نعرف جيداً موقف جريدة «الشعب» وحزب العمل من فيلم «المهاجر» ورواية «أولاد حارتنا» وفتاوى الغزالى والتى تقف فيه بشكل مباشر ضد حرية الفكر والإبداع.. ومن ناحية أخرى فإننى أؤكد للأستاذ عادل حسين أنه ليس كل مد جماهيرى دليلاً على الصحوة والتقدم إلى الأمام

ذلك لأنه فى غياب العقل وانعدام الديمقراطية ومصادرة الكتب يتحول هذا المد الجماهيرى إلى غول فظيع يحرق الأخضر واليابس فى طريقه مثلما حدث فى ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وأخيراً فإننا نختلف تماماً مع محاولة الأستاذ عادل حسين تشبيه موقف الشيوعيين بموقف الإخوان وتأييدهم للعنف والإرهاب تاريخياً ونحن نؤكد أن الشيوعيين المصريين كانوا دائماً ضد الإرهاب الفردى وعمليات الاغتيال وترويع المدنيين وتخريب المؤسسات وكانوا دائماً مناصرين أقوياء لحرية الفكر ولم يسجل التاريخ واقعة واحدة فى مصر تشير إلى تورط الشيوعيين فى أية عملية إرهابية؛ وفى نفس الوقت فإن الشيوعيين انتقدوا مواقفهم الخاطئة حول قضايا الديمقراطية وديكتاتورية البروليتاريا وكذلك الممارسات الستالينية القمعية.

ونحن نأمل ألاّ تكون هذه المناظرة هى الأخيرة، ونؤكد على ضرورة وأهمية استمرار هذه الندوات والمناظرات بين التيارين مهما كانت الصعوبات، ذلك لأن هذا هو السبيل الديمقراطى لتجنب العنف والإرهاب.

رقم الايداع ٩٥/٤٠٩٩


Bibliotheca Alexandrina
0436452